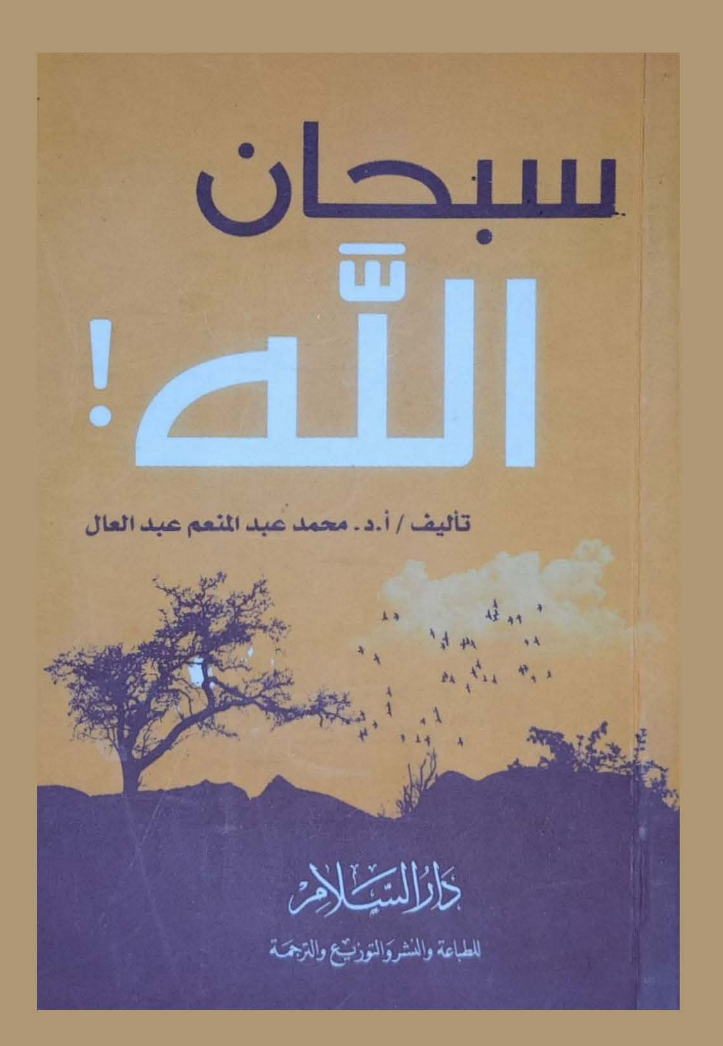

سبحان
الله!
تأليف / أ.د. محمد عبد المنعم عبد العال
دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



تأليف

أ.د. محمد عبد المنعم عبد العال

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية .

عبد العال، محمد عبد المنعم.
سبحان الله / تأليف : محمد عبد المنعم عبد العال - القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، [٢٠٠٨] .
٢٥٦ ص ؛ ١٧سم .
تدمك ٧ ٦٨٠ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - القدرة الإلهية.
أ - العنوان .
٢٤١

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية

الإدارة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريديًا : ص.ب ١٦١ الغورية الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْأَفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾.





فِهْرِسُ المُحتَوَيَاتِ

الفَصِلُ الثَّانِي

الفَصِلُ الثَّالِثُ

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي

الفَصِلُ الرَّابعُ

* * *



مُقَـدِّمَة

الكون من حولنا مليء بالأشياء العجيبة والحوادث المثيرة، وقد ترى شيئًا أو حدثًا معينًا فتجد نفسك دون أن تشعر تقول: « سبحان اللَّه » – في هذا الوقت تشعر أن يد اللَّه موجودة بقوة في هذا الحدث، ومن هذه الحوادث العجيبة قد يتعلم الإنسان شيئًا ينفعه ماديًّا وقد يتعلم شيئًا ينفعه معنويًّا، وقد اختص اللَّه المخلوقات الأخرى

غير الإنسان بقدرات تفوق قدرة الإنسان الذي هو سيد هذا الكون وذلك بما أوجد في هذه المخلوقات مِّن حواس ليست موجودة في الإنسان، فالنملة تستطيع أن تصل إلى مكان السكر والإنسان معصوب العينين لا يستطيع أن يصل إليه.

الحيوانات المفترسة في الغابة تجعل حول مكان إقامتها سياجًا أو حرمًا من رائحة معينة، فإذا جاء حيوان آخر وشَمَّ هذه الرائحة ذهب بعيدًا عن هذا الحرم، هذه الروائح لا يتعرف عليها الإنسان.

البيات الشتوي لدى بعض الحيوانات

علَّم الإنسان الكثير عن كيمياء هذه الحيوانات.

ومنها استفادة الإنسان في اختراع أدوية لعلاج هشاشة العظام.

في هذا الكتاب توجد موضوعات كثيرة لا تستطيع أن تمنع نفسك بعد قراءتها من أن تقول: « سبحان اللَّه » وبتلقائية تامة وهذا هو موضوع هذا الكتاب.

أ.د. محمد عبد المنعم عبد العال

رمضان ١٤٢٨هـ

* * *

سُبْحَانَ اللهِ !

الفَصْلُ الأوَّلُ

خَلْق الإنسان





الطين أصل الإنسان
(خلق الإنسان)

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ [نوح: ١٧].

وهذا القول هو الحق والصدق.. نعم خرج الإنسان من الطين مثله مثل النبات.. وعندما تم تحليل مكونات الإنسان وجد أن مكوناته مثل مكونات الطين تمامًا، فإذا مات دفن في الأرض تحلل إلى عناصره الأولية وهي نفس عناصر الطين، فالإنسان خلق من طين الأرض،

منها خرج وإليها يعود: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٥٥].

ولأن الإنسان هو محور التكليف، فقد ميَّزه الله بنعمة العقل، الذي بفضله استطاع أن يعيش عبر هذه الملايين من السنين، في حين انقرضت حيوانات أضخم منه وأعظم؛ لأنها لم تستطع أن تحمي نفسها من كوارث الطبيعة أو تتكيَّف معها، ولكن الإنسان - بقدرة أودعها الله فيه - قادر على كل ذلك.

لقد شاء الله أن يكون الطين هو أصل الإنسان، وعندما نظر الفنان إلى الطين

بهرته إمكانات هذه المادة واستهوته فصنع منها الفخار، ثم بطريقة معينة استطاع أن يحوله إلى بورسلين أو مواد لامعة، وكل الفازات أو المزهريات اللامعة الجميلة مصنوعة من الطين، فتبارك اللَّه أحسن الصانعين وخير الخالقين، خلق الإنسان من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والأبصار والأفئدة. سبحان اللَّه!!

* * *



يقول الحق تبارك مخاطبًا الإنسان:
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

لقد أبدع الله - جلّت قدرته وتعالت حكمته - خلق الإنسان فجعله في أبهى صورة وفي أحسن تقويم. فقال سبحانه:

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤].

لقد كان بإمكانه - تعالى شأنه - أن يخلق الإنسان على أية صورة أخرى غير التي نراها الآن، ولكن لأن الله جميل يحب الجمال، فقد خلقه متناسق الشكل جميل المحيا، لا تنافر بين أجزائه، ولا التواء في قوامه.. فقال ممتنًّا عليه بأنعمه مظهرًا له كرامته عنده: ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٤]؛ لأن الله سبحانه هو القائل عن ذاته القدسية: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة: ٧].

(فلو خلقه مثلًا بدون حاجب - وهو أهون الخلق في الوجة - لأدى مهمته وقام

بوظيفته على خير وجه).

ولكن الله شاءت إرادته أن يكون خليفته في أبهى صورة وأحسن هندام فغطى رأسه وحاجبه بالشعر. وخلق له قرابة مائة ألف شعرة في رأسه، والشعر له وظيفتان تؤديان – في وقت واحد – الوظيفة الأولى: هي حماية فروة الرأس من برد الشتاء وحر الصيف، ووظيفة أخرى: هي إضفاء الجمال على الإنسان.

والشعر له وظيفة أخرى فمن أجل صقله وتصفيفه وتجميله أقيمت شركات صناعة مواد التجميل التي أنتجت عشرات المواد

المجملة؛ مثل: الشامبوهات والليوسيونات والكريمات وحمامات الزيت والجلي، وكلها تستعمل للمحافظة على نظافة الشعر وإضفاء الرونق اللائق به. فترى البنت في يوم عرسها تصرف مئات الجنيهات عند الكوافير لتصفيف شعرها وهو ما يسمونه تاج المرأة ليعطيها منظرًا جميلًا.

ومن أجل الشعر وخدمته والعناية به أنشئت المصانع التي استوعبت ألوف العمال الذين يأكلون خبزهم من عملهم في هذه المصانع! وفي إحصائية من أمريكا أن الأمريكيين يصرفون ١/٨ من دخلهم على مستحضرات التجميل. كل هذا لإضفاء

الشكل الجمالي على الإنسان، ولم يكتفِ اللَّه بخلق شعر الرأس وإنما أوجد شعر الحواجب وشعر اللحية والشارب عند الرجل وكلها أشياء تضفي الجمال وتعطي منظر الرجولة، ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] هذه النعم كلها لا يعرف قدرها إلا من فقدها؛ ولذلك فإن من حكمة اللَّه أنه أوجد أمراضًا تزيل شعر الرأس أو شعر الوجه أو شعر الجسم كله حتى يرى الإنسان السليم نعم اللَّه عليه فيحمد ربه قائلًا: سبحان اللَّه.. والحمد للَّه.

* * *



الماء الدافق من بين الصلب والترائب،

في إطار العلم الذي أوجب علينا ربنا أن نأخذ بأسبابه، يكشف لنا - سبحانه - بعضًا من مكنون علمه وطرفًا من بدائع صنعه، كي يتعرف الإنسان على أطوار نشأته، ومراحل تكوينه منذ أن كان غيبًا في علمه ﷻ إلى أن أصبح شيئًا مذكورًا.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ [الطارق: ٥ - ٧].

فمعنى هذه الآية: أن الإنسان يخلق من الماء الدافق وهو المني الذي يخرج من بين الصلب وهو العمود الفقري، والترائب هي الضلوع، أي أن الإنسان يخلق من المني الذي يخرج من مكان ما بين العمود الفقري والضلوع - ولكن المشاهد أن المني يخرج من الخصيتين اللتين نراهما بأعيننا خارج جسم الإنسان - كيف تتواءم الحقيقة القرآنية مع ما نشاهده بأعيننا؟

تكمن الإجابة في دراسة علم الأجنَّة؛ ذلك أن الخصية في أول تكوينها تكون في البطن أسفل الكلية بين العمود الفقري والضلوع، ورويدًا رويدًا بما أودعه اللَّه فيها من أسرار تبدأ رحلة الهبوط خارج البطن إلى كيس الصفن حيث نراها بأعيننا - هذا ما أخبرنا به القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا عندما أنزله على نبيه الأمي الأمين الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة ولا درس علم التشريح ولا علم الأجنَّة.

فسبحان اللَّه - علَّم الإنسان ما لم يعلم.

(في الأول) خلق المني:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٨، ٥٩].

ويقول سبحانه: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق: ٥، ٦].

خلق الإنسان هو البيِّنة الكبرى والدلالة العظمى الدالة على دقة الصنع وإتقان التدبير. لقد ذهل العالم عندما اكتشف اليابانيون الترانزستور الذي جعل جهاز المذياع الكبير، في حجم كف اليد أو أقل من حجم الإصبع.

انظر إلى نقطة المني تحت المجهر - ترى

العجب العجاب.. ترى ستين مليون حيوان منوي في كل سنتيمتر مكعب، كل حيوان منها له رأس وذيل ويتحرك بسرعة فائقة في اتجاهات متعددة.

من أوجد كل هذا الكم من الحيوانات المنوية في هذه القطرات القليلة؟

يقرر اللَّه في محكم آياته البينات أنه هو الذي أوجدها.. إنه يتحدى الإنسان أن يوجد مثلها، والدليل قائم، فمن الذي يمكنه أن يوجد حيوانات منوية في منيه وخصيته؟ من غير اللَّه قادر على تكوين هذه الحيوانات؟ ليس في استطاعة أي إنسان مهما أوتي من

مقومات العلم وأسراره وأسبابه أن يهيئ وجود هذه الحيوانات المنوية داخل خصيته أو أن يجعل خصيته تقوم بإفرازها، فاللّه وحده جلَّت قدرته هو خالقها وهو المتحدي بتفرده بالإبداع والخلق.

والحيوان المنوي على ضآلة حجمه، فهو لا يُرى إلا بالمجهر يحمل كل الصفات الوراثية، التي تنتقل إلى الجنين كل هذا في الماء المهين.. سبحان اللّه!!

* * *



خلق اللّٰه المبيض في الأنثى داخل الجسم، وخلق اللّٰه خصية الرجل خارج الجسم، وجعل خلايا الخصية لا تعمل بكفاءة إلا إذا كانت درجة حرارة الخصية أقل من درجة حرارة الجسم بدرجتين مئويتين، فإذا كانت درجة حرارة الجسم ٣٧ درجة كانت درجة حرارة الخصية ٣٥ درجة، (وإذا لم تنجح الخصية في

النزول من مكانها في جسم الجنين بأسفل الكلية إلى وضعها الطبيعي في « كيس الصفن »، أقول: إذا لم تنجح وظلت داخل البطن، فإن درجة حرارة الجسم عند ٣٧ درجة تقتل الخلايا المسؤولة عن تكوين الحيوانات المنوية، ولكن الخلايا المسؤولة عن تكوين الهرمون المذكر تبقى نشطة؛ ولذلك فإن الرجل من ذوي الخصية المعلقة أو المختفية - يحظى بعلامات الرجولة من توزيع الشعر والدهون والقدرة الجنسية ولكن القدرة على الإنجاب ممكن أن تتأثر).

فكيف تحافظ الخصية على درجة حرارتها عند ٣٥ درجة مئوية؟

إنها تحافظ عليها بعدة أشياء:

الوعاء الدموي الشرياني قبل أن يدخل الخصية يتحول إلى شكل حلزوني وذلك يساعد على تخفيض سرعة سريان الدم إلى الخصية، وبالتالي يقلل من درجة الحرارة.

جلد كيس الصفن الذي به الخصيتان ذو ثنايا، عند ارتفاع درجة حرارة الجو فإن جلد الكيس يفرد هذه الثنايا وبذلك تزداد مساحة جلد الخصية وبالتالي تزداد المساحة التي تتسرب منها الحرارة إلى الخارج وبذلك تحافظ الخصية على حرارتها عند ٣٥ درجة مئوية.

كذلك توجد عضلات تجعل الخصية تهبط إلى أسفل مع ارتفاع درجة الحرارة المحيطة بها، فتبتعد الخصية عن الجسم ذي الحرارة العالية بالنسبة لها وهذا يساعد على تخفيض درجة حرارة الخصية.

من علم الخصية والكيس الذي يحتويها كل هذه الأشياء؟!..

لقد وضع اللَّه فيهما سرًّا من أسراره فعلَّمها كيف تتكيَّف وكيف تعمل وكيف تؤدي وظيفتها.. وسبحان اللَّه!!

* * *



جهاز المناعة
(جسم الإنسان كيف يحارب أعداءه ؟)

خلق اللَّه الإنسان وخلق معه مخلوقات عديدة بعضها قادر على مهاجمته والفتك به، وبعضها مروض ومسخر لخدمته ومنفعته. والإنسان قد يتفهم ما خلق لمنفعته ولكنه يقف حائرًا أمام ما خلق لتهديده ومهاجمته.

ولقد خلق اللَّه الجراثيم وبعضها من ألد أعداء الإنسان؛ لأنها قادرة على إحداث

العديد من الأمراض التي تثقله وتعجزه، ولكن اللَّه ﷻ الذي خلق الداء خلق أيضًا الدواء.

ولقد خلق اللَّه في جسم الإنسان جهازًا كاملًا لحمايته من أعدائه، مثل: الجراثيم والفيروسات والطفيليات التي تتربَّص به وتنتظر الفرصة للانقضاض عليه، **هذا الجهاز هو جهاز المناعة.**

إذا ما غزت الجسم هذه الكائنات الدقيقة التي لا يمكن رؤيتها إلا بعد تكبيرها آلاف المرات بالمكيروسكوب. تجد في انتظارها خطوط دفاع عديدة يصل عددها

إلى أربعة خطوط كل خط به العديد من الخلايا القادرة على تحطيم هذه الجراثيم؛ الخط الأول عبارة عن خلايا قادرة على إفراز مواد هائلة وقاتلة تفتك بهذه الجراثيم وتقضي عليها، فإذا أفلتت هذه الكائنات الدقيقة من خلايا الخط الأول وجدت في استقبالها خلايا الخط الثاني في انتظارها وتخليص الجسم منها وإفراز عصائر لتكسيرها وتحطيمها.

وكما يحدث في الحروب ما بين البشر، فإنه إذا ما أفلتت بعض هذه الجراثيم من خلايا الصف الثاني، وجدت في استقبالها

خطًّا ثالثًا يتمثل في جهاز دقيق من الأنزيمات أو الخمائر القادرة على إهلاكها، فإذا لم يكن كل هذا كافيًا، فإن خلايا الخط الرابع تفرز مواد تستنفر خلايا الدم البيضاء، وتعمل على تجميعها في مكان غزو هذه الكائنات الدقيقة. هذه الخلايا - كرات الدم البيضاء - تفرز مواد تعمل على تحطيم هذه الجراثيم..

أما إذا أفلتت بعض هذه الكائنات من خط الدفاع الرابع - مثلما يحدث في الفطريات - وجدت مثبطات للنمو في الدم قادرة على سرقة عنصر الحديد من هذه

الفطريات - والفطريات لا تستطيع البقاء حية بدونه - فتهلك وتتلاشى وتنعدم.

فسبحان الذي أوجد بقدرته كل هذه الحواجز والموانع والعراقيل والاستحكامات الدفاعية داخل جسم الإنسان في مواجهة هذه الجراثيم القاتلة.. حتى يتاح للإنسان - بما أوجده اللّٰه فيه - أن ينعم بالصحة ويلبس ثوب العافية..

الجديد أن الإنسان استطاع أن يستفيد من هذه الجراثيم المعادية له وأن يُسخِّرها ليستخرج منها المضادات الحيوية ومواد أخرى لعلاج الأكزيما والبهاق ومواد لعلاج

تجاعيد الوجه ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾.. سبحان اللَّه!!

الإيدز وجهاز المناعة:

يقول الحق سبحانه: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [المدثر: ٣١].

الفضيلة مبدأ ديني قبل أن تكون مبدأً إنسانيًّا؛ لذلك فقد حثَّ اللَّه تبارك وتعالى الإنسان على الالتزام بها والتخلق بأخلاقها؛ طلب من الإنسان أن يكون مأكله حلالًا وملبسه وشهوته حلالًا.. وأرشده إلى كل ما يصلحه باتباع أوامره واجتناب نواهيه قائلًا له:

إذا أردت أن تنعم بلذة الجنس ونعمة التناسل فعليك بالزواج.

ولأن اللّٰه سبحانه يريد من الإنسان أن ينفذ أوامره طوعًا لا كرهًا.. حبًّا لا قسرًا. فقد أرشده إلى طاعته بمنهجه: افعل ولا تفعل، ثم ترك له حرية الاختيار في أن يفعل أو لا يفعل، وأن يمارس الجنس حلالًا، أو حرامًا، وفي نفس الوقت أوجد جرثومة (السيلان) التي تصيب من يمارس الجنس حرامًا فيصاب بمرض (السيلان) وهو إفراز سائل صديدي يخرج من فتحة البول مع حرقان أثناء التبول.

هذه الأعراض إن تركت بدون علاج.. كانت لها مضاعفات كثيرة.. منها ضيق مجرى البول والعقم. ولكن الإنسان بما أودع اللّه فيه من عقل راجح قادر على التمييز والتدبر، ولأن رحمة اللّه سبقت غضبه.. فقد هداه إلى العقاقير التي تقضي على هذا المرض (السيلان) وقد نجح - إلى حدٍّ كبير - في علاج هذا المرض حتى أصبحت مضاعفاته نادرًا ما نراها!

وظن الإنسان - بعلمه وتدبيره - أنه في منعة من ربه، وأن في استطاعته أن يكتشف لكل داء دواء.. فاغتر بعلمه..

وسرعان ما ظهر مرض جديد (الإيدز) طاعون العصر، الذي ينتقل بالاتصال الجنسي وخاصة بين الشواذ.

وهكذا أدخلت الإنسانية نفسها من جديد - بسوء فعلها وشؤم معصيتها - في معركة جديدة - معركة فقدان المناعة - ولا يزال الطب عاجزًا حتى الآن عن إيجاد علاج حقيقي لهذا المرض، وحتى إذا نجح الإنسان في معركة الإيدز - كما انتصر في معارك سابقة أخرى - فسوف يأتي اللَّه بأمراض أخرى رهيبة للعصاة حتى يستقيم الناس على طريق شرع اللَّه.. إن الإنسان

في مواجهة ربه هو الخاسر دائمًا، وسبحان اللَّه الذي تعدَّدت جنوده.. التي يخوف اللَّه بها عباده ليتقوه. ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١].

وقال النبي ﷺ: « **لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا** » (١).

أي أنه إذا ظهرت الفاحشة في قوم وتباهوا بها ظهر فيهم أمراض وأوجاع جديدة

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٨٣/٤) وابن ماجه (١٣٣٢/٢).

لم تكن في الأجيال التي سبقتهم كما ظهر الإيدز في هذا الجيل عندما تباهى الغرب بالشذوذ والإباحية الجنسية.

* * *

عندما خلق اللَّه الإنسان خلق له أعداء، ومن بين أعدائه الجراثيم. هل تعرف كيف يحميك ربك من هذه الجراثيم المحيطة بك القادرة على غزو جسمك وإصابتك؟

هذه الجراثيم عبارة عن جسيمات صغيرة لا ترى إلا إذا كبَّرتها ألف مرة لأنك لا تستطيع دراستها إلا بالميكروسكوب الضوئي أو الإلكتروني القادر على التكبير

لعدة آلاف من المرات تربو على عشرين ألف مرة - أو أكثر، ولكن الله ﷻ لم يترك أجسادنا هدفًا سهلًا لهذه الجراثيم ترتع فيه وتلعب، وإنما أوجد الله لها خلايا معينة تسمى الخلايا الأكولة - والذي يحدث هو أن هذه الجراثيم تلتصق بجدار هذه الخلايا، ثم بطريقة معينة تقوم هذه الخلايا بالتهام هذه الجراثيم داخل جوفها مثلما تفعل الأميبا بغذائها، ثم داخل جوفها تصب عليها وابلًا من الأنزيمات أو الخمائر لتحطمها ولا تبقي لها على أثر وبذلك تخلص جسم الإنسان منها.

ولكن.. لكي تلتصق هذه الجراثيم بسطح هذه الخلايا يلزمها مواد معينة مثل الأجسام المضادة، فإذا لم توجد هذه الأجسام فإن هذه الجراثيم لا تستطيع الالتصاق بهذه الخلايا وبالتالي فإنها لا تستطيع أكلها فيحدث المرض الذي يستدعي تدخل الطبيب الذي يوصي بإعطاء المريض أدوية معينة تساعده على قتل هذه الجراثيم..

فسبحان اللّٰه الذي خلق الداء وأحاطنا بلطفه بأن خلق لنا خلايا تحمينا منها، وهدانا إلى الدواء الذي يساعدنا على التخلص منها والقضاء عليها، وسبحان اللّٰه!!

كرات الدم البيضاء تسبح الله!!

يقول الحق تبارك وتعالى في محكم آياته البينات:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فما معنى التسبيح؟

التسبيح: هو التحميد والتقديس والتوحيد والتنزيه الواجب للذات العلية لا شريك له فيه وكل ما في الوجود مدين بإيجاده للموجد الحكيم.

أما الحمد فهو شكر المُنعَم عليه للمُنعِم اعترافًا بما أسدى إليه من معروف وما قدمه

له من معونة.. إننا نقولها كذلك عندما نفرغ من عمل، أو بعد أداء ما علينا من واجبات، وهذا يعني أن إتمام العمل ونجاحه.. هو نوع من التسبيح.. أي عندما تتحرك مخلوقات اللَّه بنظام معين لتؤدي وظائفها، فهذا نوع من التسبيح.

وإذا نظرت إلى خلايا الدم وجدتها تحتوي على كريات حمراء وكريات بيضاء.. الكريات البيضاء أنواع منها متعددة النواة، وهذا النوع قادر على مقاومة الجراثيم، ونوع وحيد النواة وهو قادر على مقاومة الفيروسات والفطريات والطفيليات، وهناك خلايا وحيدة

النواة تقاوم الجراثيم أيضًا.

وعندما تهاجم الجراثيم الجلد فإنها تفرز سمومًا، ولكي يتغلب الجسم عليها يرسل إلى هذه الجراثيم كرات الدم البيضاء لتدخل معها في معركة تؤدي إلى قتل الجراثيم، والصديد الذي نراه في مثل هذه الأحوال ما هو إلا كرات دم بيضاء ماتت أثناء المعركة. كيف تهرع هذه الكرات البيضاء إلى مكان الجراثيم؟ إن رحمة اللّٰه علينا أن جعل الجراثيم وهي تفرز سمومها تفرز مواد أخرى تجذب كرات الدم البيضاء لتقتل الجراثيم ذاتها.. هذه المواد الجاذبة

لكرات الدم تجعل كرات الدم البيضاء تلتصق بجدار الشعيرات الدموية استعدادًا للخروج من الوعاء الدموي وبعد خروجها تجد مواد حاملة لها إلى حيث توجد الجراثيم.. ماذا يحدث لو أن الجراثيم فشلت في إفراز هذه المواد الجاذبة لكرات الدم البيضاء أو أنها أفرزتها ولكن كرات الدم البيضاء لم تفهمها لوجود خلل بها؟ في هذه الحالة تبقى كرات الدم البيضاء في الأوعية الدموية لا تستطيع أن تبرحها وتترك الجراثيم نشطة تفتك بالإنسان كما تريد.

ألا ترى معي أن كرات الدم البيضاء مع

كل إشارة تفهمها تسبح اللَّه؟ سبحان اللَّه!!

الخلية الليمفاوية:

هل في استطاعة أي إنسان مهما ارتقى تفكيره، ومهما أوتي من قوة الملاحظة والدقة المتناهية أن يفحص طابورًا طويلًا مكونًا من ثلاثين ألف شخص بحيث يمكنه أن يتعرف على كلٍّ واحدٍ منهم، ولا يُسمح له بالمرور إلا إذا تأكد من شخصيته، وتأكد من سلامته بعد قيامه بهذا الفحص؟

هل في استطاعتك أنت أن تتعرَّف على ثلاثين ألف شخص التقيت بهم على مدى عمرك الطويل إذا مروا أمامك؟

الإجابة معروفة وهي النفي، ولكن في جسمك توجد خلية تابعة لخلايا الدم البيضاء، خلية تحتاج لرؤيتها أن تكبرها ثلاثمائة مرة على الأقل حتى تراها كرة صغيرة لا تزيد على جزء من المليمتر، هذه الخلايا هي خلية الليمفوسيت أو الخلية الليمفاوية يبدأ تكوينها في نخاع العظام ثم تذهب عن طريق الدم إلى غدة تقع تحت القفص الصدري تسمى الغدة السحترية أو التيموزية.

في هذه الغدة أو المعهد تبدأ التدريب للتعرف على ثلاثين ألف نوعٍ من الخلايا هي خلايا الجسم كله، ثم تخرج من هذه الغدة

وتجوب الجسم كله عن طريق الدم تفحص خلاياه فإذا كانت هذه الخلايا سليمة تركتها، وإذا كانت مريضة بالسرطان مثلًا تعرفت عليها وبدأت في إفراز مواد معينة لتقتلها؛ وذلك لأن الخلية الليمفاوية عندما تكون في الغدة التيموزية يتكون فوقها مستقبلات وعن طريقها تتعرف على الخلايا السليمة، فإذا تحولت إحدى خلايا الجسم إلى خلية سرطانية وهذا يحدث كل يوم فإن الخلايا الليمفاوية - عن طريق هذه المستقبلات تتعرف عليها، وتتخلص منها ولذلك نجد أن الجسم السليم ذا المناعة السليمة والقوية قادر

على تخليص الجسم من هذه الخلايا الشاذة، فإذا انخفضت مناعة الجسم تغلبت عليه الخلايا السرطانية وظهر مرض السرطان.

هل نملك إزاء هذا إلا أن نقول: سبحان اللَّه!!

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.

خلق اللَّه الإنسان في الكون ولم يخلقه وحده ولكنه خلق معه أعداء كثيرين.. هؤلاء الأعداء متنوعون ومتعددون؛ منهم الجراثيم والطفيليات والفيروسات، وهذه الكائنات الحية قادرة على مهاجمة الإنسان وطرحه أرضًا وقتله إذا لزم الأمر، ولكن شاءت إرادة

اللّٰه أن يهيئ للإنسان ما يحميه من هذه الكائنات الغادرة ومن أجل هذا خلق له خلايا صغيرة تسمى الخلايا الليمفاوية.. هذه الخلية الصغيرة تتجول دائمًا وأبدًا في نسيج الجلد مثل عساكر المرور، فإذا وجدت أحد هؤلاء الأعداء، فإن هذه الخلايا تبدأ في إفراز مواد كيماوية معينة قادرة على قتل هذه الفيروسات أو الطفيليات أو الجراثيم. مرض الإيدز.. هذا المرض اللعين يتسلل إلى جسم الإنسان ويتمكن منه بعد غزوه وقتله لهذه الخلايا الحارسة - الخلايا الليمفاوية - بعدها جسم الإنسان يصبح بوابة مفتوحة لمثل هذه

الكائنات الانتهازية، فيصاب مريض الإيدز - لفقد مناعته - بالأمراض الفيروسية أو الجرثومية أو الطفيليات بسهولة، الأمر الذي يفسد عليه حياته، وربما سلب منه هذه الحياة نفسها.

فسبحان من أمد كل حي بما يحفظ عليه هذه الحياة..

* * *



يقول الحق تبارك وتعالى في محكم آياته البينات مظهرًا إحاطته وقيوميته على جميع خلقه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق: ١٦].

لماذا حدّد الله (حبل الوريد) بالذات؟!

الله يقول: (إنه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد والقرب أو البُعد يكون من

العقل أو القلب، والمعروف أن أي شيء تضعه في الوريد يكون في أقل من ثانية واحدة في القلب والمخ)، وكلنا نعلم الحقنة التي تعطى في الوريد تأتي نتائجها في لمح البصر، الألم الشديد تقضي عليه حقنة في الوريد، المغص الفتاك تزيله حقنة في الوريد.

في جسم الإنسان وريد وشريان.. الشريان به دم مؤكسد أي دم حامل للأكسجين، والشريان ينقسم ويتشعب ويصل إلى أصغر خلية في جسم الإنسان لمدها بالغذاء والهواء، والوريد به الدم غير المؤكسد.

إن دم الوريد في رحلته من القدم إلى

القلب يمشي في عكس اتجاه الجاذبية الأرضية؛ ولذلك لا بد من أشياء تدفع الدم به إلى أعلى. من هذه الأشياء انقباض عضلات الساق، حتى لا ينزل الدم إلى أسفل بفعل الجاذبية الأرضية، كما أوجد اللّٰه في الأوردة صمامات تسمح بمرور الدم إلى أعلى ولا تسمح بمروره إلى أسفل.

هذه الصمامات عبارة عن جيوب صغيرة يدفعها الدم في مروره إلى أعلى، فإذا أراد الدم النزول إلى أسفل امتلأت الجيوب بالدم والتصقت جدرانها بعضها ببعض وانغلق الصمام فلا يستطيع الدم

المرور إلى أسفل.

ماذا يحدث لو أن هذا الصمام به تلف يسمح بمرور الدم إلى أسفل؟ إن الصمام التالف يصعب عملية التصاق هذه الجيوب التي تمنع مرور الدم إلى أسفل فتمتلئ الأوردة بالدم وتنتفخ وتصاب الساق بما نسميه « الدوالي » ويرتفع ضغط الدم في هذه الأوردة، وعندما يرتفع الضغط في الأوردة يسمح بمرور كرات الدم الحمراء إلى خارج الوريد فيصاب جلد القدم بالتقرح والالتهابات التي تأخذ وقتًا طويلًا في العلاج ولا تلتئم إلا إذا أبدلنا الصمامات

التالفة بصمامات سليمة ننقلها من أحد أوردة الذراع مثلًا من نفس المريض.

وفي العصر الحديث اخترع الإنسان جهازًا يسمى جهاز (دوبلر) باستخدام هذا الجهاز تستطيع أن تسمع صوت الدم وهو يندفع داخل الأوردة (وأيضًا الشرايين) فإذا وضعت الجهاز على الوريد في مكان الصمام وضغطت على عضلات الساق لتدفع الدم إلى أعلى، فإنك تسمع صوت الدم يندفع إلى أعلى من خلال هذا الجهاز، ثم تسمع صوتًا شديدًا مثل صوت إغلاق باب المنزل « هذا الصوت هو صوت إغلاق الصمام ».

وهذا يعني أن الصمام سليم، أما إذا لم تسمع هذا الصوت الشديد فسوف تسمع صوت نزول الدم إلى أسفل، معنى هذا أن الصمام تالف، وأن المريض مصاب بالدوالي.

هل رأيت إعجازًا في الخلق مثل هذا، وإبداعًا أكمل من هذا؟ وهل بعد كل هذا يأتي بعض الناس وينكرون وجود الصانع الذي صنع كل هذا الإعجاز في جزئية صغيرة من جسم الإنسان: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥]. سبحان الله!!

* * *



أهمية الغدد

الغدة النخامية (المايسترو)،

في قاع الجمجمة توجد (غدُة).. هذه الغدة صغيرة الحجم ولكنها كثيرة الوظائف وتتحكم في كثير من الغدد الأخرى.. هذه الغدة تسمى الغدة النخامية. أما الغدد الأخرى التي تتحكم فيها هذه الغدة فهي: الغدة الدرقية، والغدة

الكظرية فوق الكلية، والغدة التناسلية الخصية والمبيض، ولأن الغدة النخامية تقوم بهذا الدور الكبير، فقد أطلق عليها العلماء: الغدة المايسترو؛ لأن المايسترو هو الذي يقود العازفين ويحقق التناغم فيما يعزفون من ألحان.

وهذه الغدة النخامية تتلقى أوامرها من جزء صغير في المخ يسمى: (تحت المهد) والغرض من ذلك هو أن يتناغم سائر الجسم مع بعضه البعض فلا يعمل جزء بمعزل عن الآخر، وإلا انقلب التناغم إلى نشاز. فالغدة الدرقية - على سبيل المثال - لا يصح لها

أن تفرز على هواها وكذلك تفعل باقي الغدد وإنما لا بد من تحكم مركزي مسيطر.

فالخصية - لكي تعمل بكفاءة - تحتاج إلى الغدة الدرقية وإلى هرمونها المنشط للجسم كله، وإذا قل (بفتح القاف) إفراز الغدة الدرقية توقفت الخصية عن العمل، وقد يحدث العقم؛ لذلك كان العلماء يعطون لمن يتأخرون في الإنجاب هرمون الغدة الدرقية لتنشيط الخصية ولكنهم توقفوا عن ذلك عندما وجدوا أن إعطاء هرمون الغدة الدرقية من خارج الجسم ينتج عنه ارتفاع مستوى الهرمون الدرقي في

الدم، فتذهب إشارات إلى الغدة النخامية تنبهها إلى أن هرمون الغدة الدرقية مرتفع، وأن على الغدة النخامية أن تأمر الغدة الدرقية بتقليل إفرازاتها، وفي هذه الحالة تقلل الغدة النخامية من إفراز هرمونها المنشط للغدة الدرقية.

فسبحان الذي جعل جسم الإنسان يعمل هذا العمل المعجز بتلقائية فريدة وبرتابة عجيبة. وصدق الرسول الكريم عندما وصف الجسد هذا الوصف الدقيق عندما قال:

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو

تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »[١].

وعندما يخلد الإنسان في الليل إلى النوم تقل ضربات القلب في العدد وتخف في القوة ويرتاح المخ وتسكن العضلات ويحدث ترميم في كل أجزاء الجسم.

الخلايا التي ماتت تبدأ خلايا معينة في التهامها والقضاء عليها، ثم يبدأ الجسم في إحلال خلايا أخرى جديدة مكانها، وتكون فترة الليل بالنسبة للجسم مثل شركات النظافة التي تعمل بالمنشأة بعد خروج الموظفين فتنظف المكان وتعيد ترتيبه ونظامه وتهيئته وإعداده

---

(١) صحيح مسلم (٥/٢٢٣٨) والبيهقي في سنة (٣/٣٥٣).

لنشاط يوم جديد حافل بالعمل الشاق.

إن النوم ضروري وأمر حيوي لصحة البدن وسلامة العقل، ومن الممكن أن يصاب الإنسان بالخبل أو الجنون إذا أصيب بالأرق لفترة طويلة أو أجبرته الظروف على عدم النوم مثلما يحدث في حالات التعذيب البدني التي قد يلجأ إليها من يستخدمون هذه الوسائل غير الإنسانية حتى ينهار من يتعرَّضون لها فيبيحون بما يعرفون وبما لا يعرفون؛ وذلك لفقدان توازنهم وعدم السيطرة على تصرفاتهم لاضطراب عقولهم وتشتت أفكارهم لعدم حصولهم على القدر الكافي من النوم

الذي حرموا منه لفترات طويلة.

هنا تتجلّى رحمة اللّه على عباده كما تقول الآية الشريفة: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]. سبحان اللّه!!

الغدد الصنوبرية:

في محكم كتابه العزيز يقول ربنا تبارك وتعالى ممتنًّا على الإنسان بنعمة تعتبر من أجل النعم وأعظمها، ألا وهي نعمة النوم، فقد جعل سبحانه الليل سكنًا.. وظرفًا للهجوع بعد يوم كامل من السعي في الأرض لابتغاء فضل اللّه. يقول سبحانه:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الإسراء: ١٢].

وقال: ﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ [القصص: ٧٢].

وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [يونس: ٦٧].

وحتى تتحقق نعمة النوم للإنسان.. فقد شاءت إرادته أن يزود الإنسان بغدة في حجم ثمرة الصنوبر في قاع المخ يطلق

عليها الغدة الصنوبرية.. هذه الغدة تفرز هرمونًا يسمى (الميلاتونين) يفرز ليلًا لمساعدة الإنسان على النوم الذي يزيل كل ألم من متاعب ومشاق السعي والكدح فيستيقظ الإنسان بعد النوم موفور النشاط.

والعلماء الآن يستعملون هذا الهرمون لعلاج فروق التوقيت بين الدول.. بمعنى أنك إذا ركبت الطائرة من نيويورك في المساء متوجهًا إلى لندن فإنك بعد ساعات قليلة يكون ضوء الشمس في عينيك - هذا الضوء يمنعك من النوم فتذهب إلى لندن متعبًا مرهقًا لا تستطيع أن تقوم بأي

عمل غير النوم - ولكن إذا تعاطيت هذا الهرمون جاء النوم إلى عينيك مستجديًا جاثيًا على ركبتيه - فتنام قرير العين وتصل إلى لندن موفور الصحة قادرًا على مزاولة كل ما تريده من أعمال.

ولقد جرب هذا الهرمون على عمال الورديات الذين يعملون ليلًا فأمكنهم هذا الهرمون من النوم بعمق أثناء النهار وبذلك زادت يقظتهم أثناء الليل - أي أثناء عملهم - فتمكّنوا من مزاولة كل الأعمال خصوصًا التي تتطلب منهم المهارة والحيوية. ولقد وجد الباحثون أن معظم الحوادث تقع في الليل،

وأهم هذه الحوادث التي وقعت ليلًا هي انفجار المفاعل النووي في تشرنوبيل بروسيا، والتسرب الكيميائي الذي حدث في برمال في الهند، والتسرب النووي الذي حدث في جزيرة تريفيل بأمريكا؛ ولذلك فإن اليقظة بالليل تستطيع أن تمنع الحوادث الجسام، ويقظة الليل تستلزم النوم العميق بالنهار ولقد وجد أيضًا أن الضوء الساطع يساعد العمال الذين يعملون ليلًا على اليقظة، وينصح العلماء بزيادة الإضاءة في أماكن العمل خلال ساعات الفجر؛ وذلك لأن الضوء الساطع يمنع إفراز هرمون الميلاتونين الذي يساعد على النوم - فإذا

أردت اليقظة فتعرض للنور الساطع فسبحان الله خالق كل شيء، الخبير بكل شيء، القائم على كل شيء.

الغدد الصنوبرية والإخصاب: يقول ربنا تبارك وتعالى وقوله الحق والصدق: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

فما هي هذه الآيات؟

إن الآية هي البرهان، وهي الدليل المعجز الذي يحسم القضايا.. هذه الآيات والبراهين قد تكون في البشر أنفسهم.

وكان من إعجاز الله في أنفسنا هو

وجود هذه الغدة المسماة بالغدة الصنوبرية.. إنها مثل حبة الصنوبر في الحجم والشكل.. وهي توجد في المخ في قاع الجمجمة.. وقد اكتشف العلماء وجودها منذ زمن بعيد، لكنهم لم يهتدوا إلى وظيفتها.. إلى أن أذن اللَّه بذلك فعلموا أن هذه الغدة تلعب دورًا مهمًّا في حياة السكان في بلاد الإسكيمو.. فهؤلاء الناس في الإسكيمو يعيشون أكثر من ستة أشهر في الشتاء في ظلام، وستة أشهر في ضوء الشمس في الربيع والصيف.

لقد وجد العلماء أن الغدة الصنوبرية

هذه تفرز خلال شهور الظلام هرمونًا يسمى (الميلاتونين) ووظيفته هي أنه يثبط أو يقلل من الهرمونات التي تفرزها الغدة النخامية، وهرمونات الغدة النخامية تعمل على تنشيط الخصية لإفراز الهرمون المذكر الذي يساعد على تكوين الحيوانات المنوية. والإقلال من هذه الهرمونات يمنع الإخصاب طيلة شهور الظلام، لكن عندما تنتهي شهور الشتاء المظلمة ويبدأ طلوع الشمس فإن ضوء الشمس يأمر الغدة الصنوبرية بعدم العمل فيقل إفراز الغدة الصنوبرية، وبالتالي تنشط الغدة النخامية وبنشاطها تنشط الخصية..

الأمر الذي يؤدي إلى كثرة الحيوانات المنوية وتكون جاهزة للإخصاب أثناء المباشرة الزوجية.

وهذه من حكم اللَّه الخفية التي لا نملك حين نعرفها إلا أن نقول: سبحان اللَّه. ذلك أن الطفل في هذه البلاد وبهذه الطريقة يولد في فصل الربيع وهو أنسب الفصول بالنسبة للميلاد (الحمل يحدث في الصيف شهر يوليو مثلًا والولادة في الربيع في شهر مارس) إن هذا التوقيت يدل على لطف اللَّه بهذا الصغير؛ إذ لو ولد في الشتاء والدنيا يلفها الظلام، كان الموقف صعبًا؛ إذ كيف يقوى

جسده الغض على احتمال هذا الصقيع؟!
وكيف ترضعه أمه في مثل هذه الظروف؟!
إنه في حاجة إلى ضوء النهار ولحرارة
الشمس لتنمو عظامه ويشتد عوده.

فسبحان من أمد كل خلقه بما يحتاج
إليه وذلك بسابق علمه. وسبحان اللَّه!!

الغدد العرقية:

خلق اللَّه في جلد الإنسان نوعين من
الغدد العرقية؛ النوع الأول عدده يربو على
ثلاثة ملايين غدة، وعن طريق هذه الغدد
يتم إفراز العرق سائلًا مثل الماء يتبخر مع
ارتفاع درجة حرارة الجو فتنخفض درجة

حرارة الجسم، وبذلك تظل درجة حرارة الجسم ثابتة عند ٣٧ درجة حتى لو وصلت درجة حرارة الجو الخارجي المحيط بالإنسان إلى الخمسين.

وهذه نعمة لا يعرفها إلا من فقد الكثير من هذه الغدد؛ لأن فقدها كلها يؤدي إلى الوفاة في سن مبكرة؛ وذلك لعدم قدرة الإنسان على التكيف مع الجو الخارجي في مثل هذه الحالات.

- ولكن بعض الناس يخلقهم اللَّه وعدد غددهم العرقية قليل؛ لهذا تجدهم يعانون الأمرين صيفًا من عدم إفراز العرق مما يترتب

عليه نتيجة لذلك عدم تحمل الجو الحار.

هناك أيضًا نوع آخر من الغدد العرقية خلقه اللَّه يفتح مع فتحات الشعر ولا يبدأ إفرازه إلا مع سن البلوغ، ففي هذه السن إذا قام الإنسان بممارسة الجنس مثلًا فإن هذه الغدد تبدأ في الإفراز، وهذه الإفرازات تكون لزجة تلتصق بالشعر والملابس، وإذا تركت بدون غسل فإنها تتحلل وتعطي الجسم رائحة كريهة.

ولما كان الإنسان المسلم يجب أن يكون طاهر البدن طيب الرائحة؛ لذلك أمرنا اللَّه بالاغتسال بعد الفراغ من العملية

الجنسية كي نزيل إفرازات هذه الغدد. وعن هذا يقول الرسول الكريم ﷺ: « **تحت كل شعرة جنابة** »[١]؛ وذلك للتدليل على وجود هذه الغدد. ولقد أمرنا بالاغتسال بعد مزاولة الجنس في قوله الكريم: ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ﴾ [المائدة: ٦] ولقد سمى العلماء الجنابة بالحدث الأكبر الذي يستوجب غسل الجسم كله.

ولك أن تتصور إنسانًا بدويًّا يعيش في جوف الصحراء ولا يعرف ترف الماء.. ماذا يكون حاله إذا لم يكن هناك حافز على

---

(١) سنن أبي داود (١/٦٥) وابن ماجه (١/١٩٦).

الطهر، وأن يكون هذا الحافز مرتبطًا بأمر ديني واجب الاتباع؟ ولو لم يكن هناك واجب ديني لتراكمت الأوساخ، ولكن اللَّه يحب أن يطهرنا أولًا بأول.

وهذا يعني أن هناك حوافز تدفع الإنسان إلى النظافة حتى تبقى أجسامنا خالية من الأدران والأقذار. لقد أمر اللَّه بالاستحمام بعد مزاولة الجنس، طبعًا هناك عوامل أخرى وهي أن الأوساخ ذاتها تؤدي إلى الحكة التي تدفع الإنسان إلى الاستحمام، ولكن هذا الحافز الأخير يأتي بعد فترة طويلة وبعد أن تكون الأوساخ نفسها قد تراكمت فعلًا،

والله ﷻ يريد لعبده أن يزيل ما يعلق بجسده أولًا بأول؛ لأن بعض ما يعلق بالجسم كما أسلفنا قد يتحلل ويخرج منه رائحة كريهة.

لقد قال عالم غربي من علماء الأمراض الجلدية: إن الله ما خلق هذه الغدد إلا لتلتهب وتصبح خراريج - الأمر الذي نرفضه لقوله: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ [آل عمران: ١٩١] ولإيماننا بأن الله قد خلق كل شيء لسبب ما ولحكمة، هذه الحكمة قد تكون خافية عنا في مرحلة من مراحل حياتنا.

وفي كل يوم بل وفي كل لحظة يكشف لنا

العلم أفاقًا جديدة لم نكن من قبل نعلم عنها شيئًا، وذلك حتى نفهم عن اللَّه قوله الكريم: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢١].

لنقول بعد الفهم: سبحان اللَّه!!

الغدد الدهنية:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذارايات: ٢١]. خلق اللَّه – سبحانه – للإنسان غددًا دهنية.. هذه الغدد الدهنية تفتح على سطح الجلد مع فتحات الشعر، ووظيفة هذه الغدد الدهنية هي إفراز الدهون، وهذه الدهون تعطي للجلد والشعر لمعانًا، كما أنها تحمي البشرة من أشعة

الشمس الحارقة؛ ولذلك فعندما نذهب إلى الشاطئ ونتعرض لأشعة الشمس، ولكيلا لا يتأثر الجلد بهذه الأشعة فإننا نضع بعض أنواع الكريمات الدهنية على سطحه كنوع من الحماية من أشعة الشمس. ولك أن تتخيل إنسانًا ولد بدون غدد دهنية، أو أن غدده الدهنية قليلة العدد - كما هو الحال بالنسبة لكبار السن - هذا الإنسان المتقدم في العمر يشكو من جفاف بشرة الجلد ومن الحكة أو الهرش التي لا تزول إلا بوضع مادة دهنية أو كريمات على سطح الجلد.

شيء آخر: هذه المادة الدهنية التي تفرزها

الغدد الدهنية - عندما تتعرض لأشعة الشمس تتحول إلى فيتامين (د)، وهذا الفيتامين مهم لترسيب الكالسيوم والفوسفور في العظام؛ ولذلك فإن الأطفال الذين لا يتعرضون لأشعة الشمس يصابون بالكساح ولا يتحسنون إلا إذا تعرضوا للأشعة فوق البنفسجية التي هي إحدى مكونات أشعة الشمس.

فهل خلق اللَّه الغدد الدهنية عبثا.. حاشا للَّه؟

﴿ مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴾

[آل عمران: ١٩١] .



جلد الإنسان

تلوين الجلد:

في معرض امتنان الحق تبارك وتعالى على خلقه يقول ﷻ مدللًا على قيومية ذاته العلية وطلاقة قدرته لافتًا ومرشدًا.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

إن من بدائع صنع اللَّه أنه أحسن التدبير وأحكم التقدير، وأبدع التصوير، فجاء الخلق وإن تعددت لغاتهم وتباينت سماتهم واختلفت مواقعهم وتعددت أجناسهم على أروع وأحسن ما يكون التدبير.

﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

فهل فكرت لماذا خلق اللَّه الإنسان الأوروبي في شمال القارة الأوروبية أبيض اللون ذا شعر أصفر؟ هل طاف بمخيلتك لماذا خلق اللَّه الإنسان في إفريقيا مثلًا أسود البشرة ذا شعر مجعد وأنف أفطس؟ إنك لن تستطيع أن تجيب على هذا

السؤال حتى تعرف ماذا يحدث للرجل الأوروبي حين ينتقل إلى دول الجنوب في قارة إفريقيا وفي قارة أستراليا مثلًا.

في هذه البلاد الحارة يتعرض الرجل الأوروبي ذو البشرة البيضاء للشمس الحارقة التي لم يعتدها في بيئته فيصاب جلده بتغيرات كثيرة قد تنقلب إلى أورام سرطانية.

إن أية إصابة جلدية يتعرض لها الرجل الأوروبي تصيبه بالهلع الشديد لما يمكن أن يحدث له.. إنه يسرع إلى الطبيب لفحصه وأخذ العينات من جلده إذا أحس بأي شيء غير طبيعي قد طرأ على جلده مثل خشانته

أو ظهور بقعة قد تستمر إلى مدة طويلة.
وذلك من خوفه من سرطان الجلد.

إن السبب في ذلك يرجع إلى أن اللَّه خلق للإنسان خلايا تفرز مادة تلون الجلد، هذه المادة يسمونها (الميلانين) وعدد الخلايا التي تفرز هذه المادة ثابت في الجلد الأبيض أو الأسود على حدٍّ سواء، والفرق هو في قدرة هذه على الإفراز.. ففي الجلد الأسمر تفرز هذه الخلايا مادة الميلانين بغزارة، وفي الجلد الأبيض يكون هذا الإفراز ضئيلًا للغاية.

وهذه المادة - مادة الميلانين - التي تفرزها هذه الخلايا يتم تخزينها في خلايا

الجلد المجاورة، وكل خلية قادرة على إفراز مادة الميلانين تكون مسؤولة عن تلوين مجموعة من الخلايا المجاورة لها.

هذه المادة الملونة تتركز أعلى النواة على هيئة قبعة لتحمي هذه النواة من أشعة الشمس، كثيرًا تتأثر هذه النواة وتنقلب إلى خلايا سرطانية والعياذ باللَّه، والحمد للَّه أننا في منطقة يغلب عليها لون الجلد المائل إلى اللون البني وهذا الجلد البني الذي يحتوي على مادة ملونة بكثرة هو الذي يحمي النواة، الأمر الذي جعل سرطان الجلد قليل الحدوث في المنطقة العربية والإفريقية.

ولكن ليرينا اللّٰه طلاقة قدرته وبدائع حكمته خلق أناسًا لا يحتوي جلدهم على خلايا قادرة على إفراز المادة الملونة، وهم من نطلق عليهم اصطلاح «عدو الشمس» هذا الشخص يكون شديد التأثر بأشعة الشمس وقد يتعرض لأمراض سرطانية في سن مبكرة إذا لم يأخذ الاحتياطات الواجبة لحماية الجلد.

وفي مؤتمر للأمراض الجلدية في بريطانيا منذ عدة سنوات عرض علينا أستاذ من نيجيريا مجموعة من النيجيرين ممن نسميهم «عدو الشمس» ولأن شمس نيجيريا شديدة فقد أصيبوا بكل أنواع سرطانات

الجلد في سن مبكرة.

فسبحان اللّٰه القائل وقوله الحق: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾:

الفرح.. الحزن، الاستبشار.. الاكتئاب، الرجاء.. القنوط، الأمل.. اليأس و.. و.. هذه المشاعر النفسية، والأحاسيس الخفية تعتري الإنسان وتتعاقب عليه من وقت لآخر في مراحل عمره، فتحوله من حال إلى حال. تستمر فترة تطول أو تقصر، تبقى أو تزول.. لكنها تترك بصماتها واضحة جلية

على الوجوه، لا تخطئها العين، ولا تخفى على لبيب.

في حالات: الفرح والاستبشار والرجاء والأمل تصبح صفحة الوجه وكأنها مرآة مصقولة شديدة الصفاء واللمعان، وتكون العينان ذواتي بريق أخَّاذ ذي وهج يضفي على الوجه ملاحة ونضارة وحيوية.

أما في حالات: الحزن والاكتئاب والقنوط واليأس، فإن نفس هذا الوجه يبدو وقد غادرته النضارة واكتسى بالشحوب والسواد، أما العينان فقد خبا شعاعهما وانطفأ نورهما وكأنما قد غادرتهما الحياة..

إن القرآن الكريم يحدثنا عن حالتين مختلفتين، ونفسيتين متضادتين، ومصيرين متفاوتين، فيقول عن أصحاب الجنة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨ ، ٣٩].

ويقول سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وعن أصحاب النار يقول: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس: ٤٠ ، ٤١].

ويقول سبحانه مصورًا حالة الجاهلي إذا ما رزق بأنثى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ

ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

هذه الآيات البينات تثبت أن تغيرات كيميائية تعتري الإنسان في حالات الفرح والسعادة، وكذلك في حالات الحزن واليأس والقنوط.

وتمر ١٤ قرنًا على نزول هذه الآيات ثم يأتي العلم الحديث ليشرح لنا كيف يتم ذلك:

إن هناك خلايا مسؤولة عن تلوين الجلد، هذه الخلايا تسمى خلايا الملانين وهي موجودة في طبقات الجلد العميقة.

وكل خلية من هذه الخلايا مسؤولة عن تلوين عدد من الخلايا المجاورة لها وهذه

الخلايا تصنع المادة الملونة للجلد (ونسميها ميلانين) وتصنعه على هيئة حبيبات تتمركز في كل خلية على هيئة قبعة أعلى النواة لتحميها من أشعة الشمس الحارقة، فإذا أصيب الإنسان بالكآبة أو الحزن تفرز الغدة النخامية الموجودة في قاع الجمجمة مادة هرمونية تجعل حبيبات الميلانين تنتشر في الخلية كلها بدلًا من تمركزها أعلى النواة هذا الانتشار يجعل الجلد يبدو أكثر سوادًا.

واسوداد الجلد بعد الانفعال والغضب الشديد مباشرة وفي دقائق قليلة يعني أن السواد ناتج من انتشار حبيبات الميلانين،

ولا يعقل أن تكون الخلايا الملونة قد أفرزت مادة ملونة جديدة بهذه الكثرة وبهذه السرعة.

فسبحان من جعل للفرح والاستبشار دلائل وعلامات.. وللحزن والكآبة ظواهر وسمات.

« لبتن »:

قال رسول الله ﷺ من ١٤ قرنًا من الزمان قولًا بليغًا يحثنا على الإقلال من الطعام: « **نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع** »[1] كُلْ إذا جعت وتوقف عن الأكل قبل نقطة الشبع؛ ذلك أن كثرة

---

(١) السيرة الحلبية (١٠/١٤٧)، طبعة دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ.

الأكل تؤدي إلى السمنة والتهاب المفاصل والسكر والضغط... إلخ وإدخال الطعام على الطعام يربك الهضم.

ما الذي يجعل الإنسان يشعر بالشبع يوجد في الجزء العميق من الجلد طبق تحتوي على خلايا دهنية - هذه الطبقة الدهنية.

الخلايا الدهنية تفرز هرمون يسمى « لبتن »، هذا الهرمون عندما يفرز يعطي إشارات لجزء من المخ يسمى « تحت المهاد » يجعل الإنسان يشعر بالشبع ولكي يعرفنا ربنا قيمة هذا الهرمون - خلق أناسًا ليس عندهم طبقة دهنية - وفي غياب الخلايا

الدهنية ليس هناك إفراز لهرمون الـ « لبتن » - هؤلاء الناس لا يشعرون بالشبع ويأكلون بشراهة ويصابون بكل أمراض زيادة الوزن من السكر والضغط ومضاعفاتهما وإعطاء هرمون الـ « لبتن » لهؤلاء الناس هو الحل الوحيد ليتوقفوا عن هذه الشراهة.

أقول هذا الكلام بعد أن دعيت إلى مؤتمر علمي عن تجميل الجلد في المدينة الجميلة شرم الشيخ، وكان نصيبي نزولي في قرية سياحية تتبع نظامًا فريدًا لم أعرفه من قبل وهو أنك تدفع قيمة الغرفة مقدمًا وبعد ذلك كل مطاعم وكافيهات القرية

مجانًا تأكل وتشرب ما تشاء دون أن تدفع مليمًا واحدًا وتستطيع إذا أردت أن تتغدى أو تتعشى مرتين أو ثلاثة .

ماذا يحدث لو أن كل زائري القرية ليس عندهم خلايا دهنية تفرز هذا الهرمون العجيب المسمى بـ « لبتن » ؟! الإجابة هي خسارة فادحة لصاحب القرية وقبلها خسارة فادحة لصحة زائري القرية ، وسبحان اللَّه.

قرح الفراش:

﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ [الكهف: ١٨].

ماذا يحدث لو أن إنسانًا نام على جنب

واحد لمدة طويلة بدون أن ينقلب على الجانب الآخر؟ العلم يقول: إن هذا الإنسان يصاب بقرح الفراش صعبة الالتئام.

لذلك فإن المريض المصاب بالشلل ينصح الأطباء بتقليبه يمينًا ويسارًا حتى لا يُصاب بهذه القرح، وقد يستدعي الأمر أن ينام المريض على مرتبة مائية تموج بالماء حتى يكون التقليب داخليًا بفضل حركة المياه داخل هذه المراتب.. وذلك حماية لجسد المرضى ووقاية لما يمكن أن يتعرض له الجلد من قرح الفراش.. حتى إذا برئوا قاموا موفوري الصحة سليمي الأبدان.

وهذا هو ما حدث لفتية الكهف حيث تولت العناية الإلهية هذا التقليب - فقاموا بعد هذه المدة الطويلة (ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا) - وكأنهم لم يلبثوا نائمين إلا ساعة من نهار.

لقد تولَّت العناية الإلهية أمرهم فحفظتهم من كل ضرر متوقع لمن هم في مثل ظروفهم، فانطبق عليهم قول الشاعر الحكيم ذي الحس المرهف عندما قال:

وإذا العناية أدركتك عيونها

نم.. فالمخاوف كلهن أمان

وسبحان من لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

سيدنا أيوب:

يقول الله سبحانه لسيدنا أيوب عليه السلام:

﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾

[ص: ٤٢].

عندما ابتلي سيدنا أيوب بمرضه أقعده سنين - ظل سيدنا أيوب صابرًا محتسبًا يقول:

﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

[الأنبياء: ٨٣].

وظل كذلك حتى صار علمًا على الصبر. اقترن اسمه بالصبر فيقول الناس: « صبر فلان كصبر سيدنا أيوب ».

وعندما أراد الله له الشفاء من هذه

البلية وتلك المحنة قال له: ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ ﴾ [ص: ٤٢] أي اجري على رجليك (الركض هو الجري) إلى مكان يغتسل فيه بماء بارد، وهذا هو ما يشير إليه الطب الحديث في القرن العشرين.

إننا نوصي المرضى الذين يصابون بأمراض منتشرة في كل جسمهم وخصوصًا إذا كانت هذه الأمراض تتميز بفقاقيع مائية كالتي كانت عند سيدنا أيوب عليه السلام، أقول: نوصي هؤلاء المرضى بالاستحمام بالماء البارد أو أن يجلس المريض في مغطس أو بانيو به ماء بارد لإزالة كل

ما يعلق بجسمه من درن وقشور يابسة من جراء يبوسة الصديد والدم على جسم المريض.

وأذكر منذ عدة سنوات أن زارني مريض بالعيادة من محافظة الفيوم مصابًا بمرض شبيه بمرض سيدنا أيوب - مليء بالبثور والحويصلات المائية، وأشار إليه أصحابه بعدم الاستحمام؛ لأن الماء في نظرهم يزيد الحالة سوءًا.

وعندما أتاني دهشت من امتناعه عن الاستحمام فترة تزيد على الأسابيع الأربعة. فطلبت منه الاستحمام يوميًا وأعطيت له

مضادًّا حيويًّا فقط وجاءني بعد أسبوع وقد تحسَّنت حالته بنسبة لا تقل عن ٧٥٪ وأصبحت نفسيته أحسن وحالته عمومًا أفضل.

وبعد ذلك أعطيت له العلاجات الفعالة المناسبة لمثل هذه الحالات إلى أن شفاه اللَّه.

مريض آخر عمره (٥ سنوات) أحضره والده في شهر أغسطس حيث الحر والرطوبة وحمو النيل يملأ كل جسمه وبعضه به صديد، وظل الطفل بدون استحمام أيضًا ظنًّا منه أن الماء يزيد الحالة سوءًا فنصحته بحمام يومي. وهذا الحمام اليومي كان فيه

أكثر من ٨٠٪ من العلاج لذلك يجب أن يكون المغتسل البارد هو البداية لكل علاج للأمراض الجلدية ذات البثور والفقاقيع، وإذا شاء اللَّه يجعل في هذا المغتسل البارد كل العلاج، أو معظمه وأكمله بأدوية تشرب أو تؤخذ عن طريق الفم وكلها أسباب يأتي بها اللَّه ﷻ ليعجل للمريض بالشفاء.

فسبحان من أتاح لنا هذه المعلومة الطبية منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان.

* * *



﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ﴾:

أوصى النبي ﷺ بالأم ثلاث مرات وبالأب مرة واحدة في حديث شريف حينما سأله أحد الصحابة عن أحق الناس بصحبته.

قال ﷺ: « **أمك** ». قال: ثم من؟ قال: « **أمك** ». قال: ثم من؟ قال: « **أمك** ».

قال: ثم من؟ قال: « **أبوك** »[1]؛ وذلك تكريمًا للأم التي حملت وليدها تسعة أشهر صابرة محتسبة. ولا تتصور أن الحمل شيء هينٌ وأمر يسير. فمنذ بدء الحمل والأم تعاني مرة من القيء، وأخرى من هذا الحمل الثقيل، ومرة من الخوف من مشاق الولادة وتعسرها.

ولو عدنا إلى الأمراض الجلدية التي تنتج من الحمل لملأت صفحات عديدة فكيف بالأمراض الأخرى المصاحبة للحمل؟

إن الأم فعلًا تعاني من الحمل وتفقد جزءًا أو بعضًا من جمالها مع كل حمل..

---

(١) رواه ابن حبّان في صحيحه (١٧٦/٢).

فالحمل قد يسبب بقعًا سمراء بالوجه، وقد يسبب سقوطًا بالشعر، وقد يسبب ظهور أورام صغيرة بالرقبة من على سطح الجلد تختفي بعد الولادة، وهناك وحمات دموية تحدث مع الحمل تختفي أيضًا بعد الولادة.

كل هذه الأشياء المصاحبة للحمل هي أمور وأعراض غير مستحبة للمرأة لكنها تتحملها رغم قسوتها وتتعايش معها رغم شدتها.

فسبحان من أمدَّها وأعدَّها لتحمل تلك الصعاب.

وسبحان من قدَّر لها صنيعها في بناء الأجيال ووصى بها بنيها في كتابه الكريم: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [لقمان: ١٤].



يقول الحق ﷻ: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

من دلائل قدرة اللَّه أنه لا يكون إلا ما أراد، فلا رادَّ لحكمه ولا رادَّ لقضائه

مهما حاولت ومهما صرفت من أموال، والدليل على ذلك: ما سمعته عن عجائب وغرائب يكاد لا يصدقها عقل:

الحالة الأولى: لزوجين عقيمين صرفا الأموال الطائلة للحصول على طفل، وأخيرًا حملت السيدة وجاءها المخاض وولدت الطفل وأمسك الطبيب برجليه ورأسه إلى أسفل ليخلصه من الإفرازات العالقة بفمه وبلعومه وجهازه التنفسي، لكن حدث ما لا يصدقه عقل انفلت الطفل من بين يديه وسقط على الأرض وارتطم رأسه بالأرض ومات، وهذا لا يحدث إلا نادرًا

جدًّا بل تكاد أن تكون هي الحالة الوحيدة التي سمعنا عنها.

الحالة الثانية: لزوجين صرفا الأموال الطائلة لكي يكون لهما طفل، كان مني الزوج يحتوي على حيوانات منوية قليلة؛ ربع مليون في السنتيمتر المكعب، والمني الطبيعي يحتوي على ٢٠ إلى ١٠٠ مليون في السنتيمتر المكعب، وكل الأطباء قرروا بأنه لا أمل، وذهبا إلى أشهر أطباء أمريكا وقرر الأطباء الكشف على الزوج قبل عمل عملية تلقيح صناعي بأخذ مني الزوج وحقنه في رحم امرأته، وبالكشف

على الزوجة وجد أن الهرمونات لديها مرتفعة، ولكي تعالج لا بد من أن تعود هذه الهرمونات إلى المستوى الطبيعي، ثم بعد ذلك تحقن بالهرمونات التي تساعد على التبويض، وأعطيت السيدة الأدوية التي تجعل الهرمونات لديها تتناقص إلى المستوى الطبيعي.

وبعد أسبوعين اكتشف الطبيب كيسًا عالقًا بالرحم.. هذا الكيس سقط وتبين أنه الجنين؛ أي أن السيدة كانت حاملًا الأدوية التي أعطيت لإنقاص الهرمونات أدت إلى الإجهاض.

أي قوة فرضت هذا التزامن بين الحمل والأدوية التي أخذتها لتقلل من هرموناتها. إنها قدرة اللّٰه التي تقول: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ﴾ [الإنسان: ٣٠].

الحالة الثالثة: لزوجين مثل السابقين.. أموالهما كثيرة وآمالهما في الإنجاب قليلة.. فالمني لا يحتوي على حيوانات منوية تكفي لتلقيح البويضة - ذهبا إلى آخر العالم، قاما بكل التحليلات والأبحاث التي طلبت منهما، وتبيَّن أن الخصية غير قادرة على تكوين حيوان منوي كامل، وإنما يمكنها عمل حيوان منوي ناقص النمو لا يستطيع

الحركة والتسرب داخل الخصية.

والخصية بها خلايا.. الخلية الأم تنقسم، وهذا الانقسام يؤدي إلى خليتين وبدورهما ينقسمان، والناتج خلية ثانية تتحول إلى حيوان منوي ناقص وبدوره يتحول إلى حيوان منوي كامل يخرج من الخصية إلى البربخ لينضج ويصبح قادرًا على الحركة ومستعدًّا للرحلة التي سوف يقطعها لتلقيح البويضة.

والمعروف أن الحيوان المنوي الناقص لا يلقح البويضة، وكان رأي الطبيب أنه لا أمل ولكنه سيحاول، وأخذ الطبيب جزءًا من الخصية وبالتقنية العالية حصل

على الحيوانات المنوية الناقصة من أنسجة الخصية وحقنها في بويضة الأم، وتم الحمل والحصول على طفل، هذا الطفل تكلف أموالًا طائلة.

إن اللَّه سبحانه يوزِّع الرزق بين عباده؛ فلو أن اللَّه رصد لكل إنسان مبلغًا معينًا من المال طول حياته ليشتري به أشياء معينة نذكر منها: الأطفال - الخبز - راحة البال - الزواج.. فإن الناس سوف ينقسمون إلى أنواع؛ نوع اشترى بكل نقوده طفلًا فلم يعد قادرًا على شراء الطعام، نوع اشترى بكل نقوده زوجة، وسيارة، وعمارة فلم يعد

قادرًا على شراء الأطفال، نوع اشترى بكل نقوده راحة البال فلم يعد قادرًا على شراء شيء آخر، وأخيرًا نوع يستطيع شراء كل هذا.. وسبحان اللَّه الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.

* * *



الإكزيما والرضاعة:

الحق تبارك وتعالى يحدِّد في كتابه الحكيم الفترة التي يجب أن يحظى الطفل خلالها بالرعاية والعناية؛ فيقول سبحانه:

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٣٣]

ويقول ﷻ عن الفطام: ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى

عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤].

لقد حثَّ القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنًا على إرضاع الطفل من ثدي أمه، وأعطى توجيهه الكريم أن يكون ذلك قرابة العام ونصف العام.

لكن اندفاعنا وتقليدنا الأعمى للغرب جعلنا نبتعد عن هذا التقليد السامي الذي يحرص على مصلحة الرضيع بتفضيل اللبن الصناعي على لبن الأم بتبرير ضعيف لا سند له هو أن الرضاعة الصناعية تحفظ للمرأة قوامها ونضارتها، ثم جاء العلم الحديث ليثبت أن الرضاعة الطبيعية من لبن

الأم أمر ضروري يجب المحافظة عليه؛ لما له من فوائد عديدة تعود على الأم ووليدها، وتحافظ على صحته وتحمي حياته.

لقد اكتشف العلم الحديث أن هناك خلايا معينة تهاجر من الأمعاء عن طريق القنوات الليمفاوية حتى تصل إلى الثدي.. هذه الخلايا وظيفتها إفراز مواد مناعية.. أو جلوبيولينات يطلق عليها: الجلوبيولين المناعي؛ هذا الجلوبيولين يقي الطفل من الإصابة بالنزلات المعوية والجراثيم المعدية.

ومن المعروف أن مرض الحساسية الوراثية يكون قليل الحدوث في الأطفال

الذين يحظون بالرضاعة الطبيعية؛ ذلك لأن المواد المناعية - الجلوبيولين المناعي الموجود في اللبن الطبيعي - تمنع امتصاص المواد المسببة للحساسية في هؤلاء الأطفال، هذا بالإضافة إلى أن لبن الأم خالٍ من الجراثيم مثل اللبن المبستر تمامًا مما يقلل من الإصابة بالنزلات المعوية التي تؤدي إلى الجفاف.

فسبحان القائل: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨].

الرضاعة الطبيعية والأطفال المبسترون:

يقول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

منذ حوالي خمس سنوات رفع الأطباء في الغرب شعار:

"The Breast is not necessarily the Best"

أي أن لبن الأم ليس بالضرورة هو الأفضل، وقد أطلق العلماء هذه المقولة على أساس أن اللبن الصناعي الذي عمل خصيصًا لهؤلاء الأطفال فيه عناصر غذائية عديدة وبكميات تفوق ما هو موجود في لبن الأم.

ومع ملاحظة هؤلاء الأطفال وغيرهم وجد العلماء أن لبن الأم له مزايا عديدة تفوق اللبن الصناعي؛ منها أن لبن الأم يحمي من

التهابات القولون بمعدل ستة أضعاف الأطفال الذين يتعاطون اللبن الصناعي.

والعجب أن الطريقة التي بها يحمي لبن الأم من التهابات القولون غير معروفة حتى الآن!

والحقيقة أن الأطفال الذين يتعاطون اللبن الصناعي ينمون أسرع من الأطفال الذين يتعاطون لبن الأم.. ذلك في الشهور الأولى فقط.. ولكن بعد مضي تسعة أشهر تقريبًا فإن درجة النمو تكون واحدة في كلا الفريقين.

ولكن هناك فرق جوهري، وهو أن

معدل الذكاء في الأطفال الذين يتغذون على لبن الأم يكون أعلى من الذين يتغذون باللبن الصناعي.

والخلاصة:

أن الأطفال الذين يتناولون لبن الأم يكونون أصغر قليلًا من مثيلهم الذين يتناولون اللبن الصناعي، ولكنهم أكثر ذكاءً وأقل عُرضة للإصابة بالتهاب القولون والالتهابات الجرثومية الأخرى، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحض على الرضاعة الطبيعية.

وهناك معلومة أخرى نحمد اللّٰه عليها

وهي أن الرضاعة الطبيعية تحمي الأم من الإصابة بسرطان الثدي، وكلما طالت مدة الرضاعة كانت الحماية أكثر، وهذا يعني أن الرضاعة الطبيعية مفيدة لكلا الطرفين الطفل والأم..

وإزاء ذلك كله لا نملك إلا أن نقول: سبحان اللّٰه!!

* * *



ضَعْف الإنسان

﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾:

يقول القرآن الكريم محددًا منهجه القويم في حق الوالدين بكلمات قليلة:

﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[البقرة: ٨٣].

وعندما أشاد سبحانه بسيدنا يحيى عليه السلام..

قال: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ [مريم: ١٤].

ولما كان قيام الأمم ورفاهية المجتمعات تقوم على سواعد الشباب وإبداعاتهم وإسهاماتهم في بناء مجتمعاتهم.. اقتضت حكمة اللَّه أن تكون أعضاء الشباب وأجهزتهم صالحة للقيام بهذا الدور.

إنها مهيأة بحكم فتوتها للقيام بأي مجهود شاق.. عضليًّا كان أو عقليًّا تقوم به بشكل متناغم يفي بجميع متطلبات تلك المرحلة؛ حيث يكون النبض منتظمًا، والضغط طبيعيًّا، والضغط الطبيعي يستلزم أوعية سليمة؛ ذلك لأن الأوعية الدموية ما هي إلا أنابيب تشبه خراطيم المياه كلما

اندفع الدم إليها انتفخت لتحتويه؛ ولذلك لا يرتفع ضغط الدم، وحتى إذا ارتفع لسبب أو لآخر.. كحالات تعرضهم لضغوط شديدة مثلما يحدث في فترات الامتحان، أو عند الاشتراك في البطولات مثلًا، فإن الضغط يكون في حدود المعدل المسموح به دونما إحساس بأي شكوى.. ولا يلبث أن يعود على حالته الطبيعية.. ذلك أن القلوب الفتية تتحمل كل الضغوط؛ ولذلك فهي تؤدي وظيفتها بكفاءة عالية.

لكن بمرور السنوات وتقدم العمر تتراجع هذه القوة تنحسر هذه الفتوة شيئًا فشيئًا..

وتبدأ الدهون والكولسترول في الترسب على جدران الأوعية الدموية فتصبح غير قادرة على الانتفاخ في مواجهة ضخ الدم إليها؛ وذلك لأنها بمرور السنوات فقدت خاصيتها المطاطية فأصبحت لا تتمدد بالقدر الكافي.

فيرتفع بالتالي ضغط الدم، وتزداد ضربات القلب، بالإضافة إلى الأعراض الأخرى التي تظهر على الإنسان إذا ما تقدم به العمر.

ولهذا جاء التوجيه الحكيم من اللّٰه البر الرحيم بالوصية بالوالدين في هذه الفترة من

العمر مراعاة لهذه الظروف الصحية التي يمران بها مع تقدم العمر الذي يستدعي معاملة خاصة قائمة على حسن المصاحبة ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥]. وإظهار الحب لهما والمبالغة في إكرامهما ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

إن الحرص على مراعاة شعورهما وإظهار الود لهما والعطف عليهما يجنبهما الكثير من المتاعب والأمراض الناشئة والمترتبة على حدوث انفعال يرفع ضغط دمهما.. أو يجعل النوم يجافي عيونهما.

قد يقول قائل: إن الوالدين من ذوي الضغط العادي.. وأقول: هؤلاء الناس إذا انفعلوا ربما أصابهم مرض السكر أو أحد الأمراض الأخرى شديدة الوطأة؛ لذلك يجب ألا توجه أي كلمة فيها أذى للوالدين ونحرص على ألا نقول لهما إلا خيرًا لنحفظ لهما كرامتهما وعزتهما التي هي جزء من كرامتنا وعزتنا، وفوق ذلك لنحافظ على صحتهم ونقيهم شر الأمراض، ولذلك كان توجيه الله لنا - كما قلت - بمراعاة الوالدين ورعايتهما والإحسان إليهما والبر بهما في هذه الفترة المتقدمة من العمر.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾ [العنكبوت: ٨].

ثم حدد الأمر وعينه وفصله تفصيلًا فقال الرحمن الرحيم: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

أما الأحاديث النبوية الشريفة التي تحض على بر الوالدين فهي كثيرة.. نذكر منها ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها أن رجلًا أتى النبي ﷺ برفقة شيخ فقال له النبي ﷺ: « **من هذا** »، فقال الرجل: أبي. فقال له النبي ﷺ: « **لا تمش أمامه، ولا تقعد قبله،**

ولا تدعه باسمه » [١]. والرسول ﷺ يقول: **« النظر إلى الكعبة عبادة والنظر في وجه الوالدين عبادة »** [٢].. ويقول الرسول ﷺ: **« ما من رجل ينظر إلى والديه نظرة فيها رحمة، إلا كتب اللّه له بها حجة مقبولة مبرورة وإن نظر كل يوم مئة مرة »** [٣].. وفي الأحاديث أن رجلًا سأل النبي ﷺ: هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما؟ فقال الرسول ﷺ: **« الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما،**

---

(١) العلل المتناهية (٢/٥٢١).
(٢) شعب الإيمان البيهقي (٦/١٨٧).
(٣) مسند الفردوس للديلمي (٤/٢٠).

وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما »[١].. ويقول الرسول ﷺ: « **من أحزن والديه فقد عقهما** »[٢] فبكاء الوالدين من العقوق.

إننا باتباع منهج الله ﷻ بحسن صحبتهما والإحسان إليهما والقيام بتوقيرهما نكون قد أدَّينا شكر النعمة لمن كانوا السبب في وجودنا في هذه الدنيا ونعمة إمدادهم لنا بالغذاء والكساء والرعاية ونحن أطفال صغار، وليكن شكرنا للّٰه على هذه النعم من خلالهما. فهو القائل سبحانه

---

(١) سنن أبي داود (٣٣٦/٤).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي والسامع (٢٣١/٢).

في حديثه القدسي: « عبدي لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريت النعمة على يديه ».

فسبحان من قرن عبادته وتوحيده بالأمر بحسن صحبة الوالدين.. حقًّا - سبحانه - إنه البر الرحيم.

وهن العظام:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤].

من طبيعة الإنسان أنه (ابن أغيار) بمعنى أنه لا يثبت على حال، وأن التغيير والتبديل والاختلال يصاحبه ويلازمه في شتى مراحل عمره ابتداءً من الطفولة حتى الشيخوخة مرورًا بمرحلة الشباب، كما أن

الصحة والمرض والفتوة والضعف والشباب والمشيب.. هي (محطات) في حياته يجب أن يمر بها جميعًا.

ويقول الحق مبينًا هذه المراحل: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: ٥٤].

ومع تقدم العمر في الإنسان تبدأ العظام في فقد كمية من الكالسيوم والمواد الزلالية فتهش وتضعف وربما كسرت.

وفي بحث من نيوكاسل بإنجلترا وجد أن ٢٪ من الرجال فوق سن الستين يصابون

بكسور في العظام نتيجة مرض وهن العظام.

وهذه النسبة ترتفع إلى ٨٪ عند سن الثمانين؛ وذلك لأنه مع تقدم العمر يقل إفراز الهرمون الذكري والمسمى التستوستيرون (وهو موجود بصورة طبيعية في الرجال وبنسبة ضئيلة جدًّا في النساء).

هذا الهرمون مهم لعمل الخلايا المسؤولة عن تكوين العظام وترسيب المواد الزلالية والكالسيوم بها، والدليل على ذلك أن الرجال إذا أعطوا هذا الهرمون لمدة طويلة تبدأ العظام الهشة والواهية في العودة إلى حالتها الطبيعية.

والمعروف أن العظام بما فيها من نخاع ومواد زلالية ومعادن تعتبر مخزونًا إستراتيجيًا للجسم لا يسحبه إلا في الحالات الشديدة جدًّا.

وقد لخصت أعرابية بليغة حكاية هذا المخزون الإلهي داخل الجسم البشري بقولها عندما سئلت عن أحوالها وقد مرت بها ثلاث سنوات عجاف معبرة عما آلت إليه حالها من ضعف ووهن بسبب ما ينقصها من مقومات الحياة قالت: (سنة أذابت اللحم، وسنة أذابت الشحم، وسنة محت العظام) أي أن نقص الغذاء في السنة

الأولى أدى إلى فقد مخزونها من اللحم، والسنة الثانية أذابت مخزونها من الدهون، والسنة الثالثة أفقدتها مخزون العظام، وما بها من نخاع ومواد زلالية ومعادن فوهن عظمها.

فسبحان الذي أخبرنا بهذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، ولو قال اللَّه أن حالة الضعف التي تصيب الكبار هي خلخلة في المفاصل أو ضعف في العضلات لكفى، ولكنه أخبرنا بأن العظم يهن، وهذا الشيء لا نتأكد منه إلا بعمل صورة أشعة للعظام وقياس الهرمون الذكري في الدم

وعمل أشعة تعيين كثافة العظام. فسبحان القائل على لسان سيدنا زكريا عليه السلام عندما أحس بشيخوخته وضعفه: ﴿ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [مريم: ٤] .

* * *



﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾

[الرعد: ٢٨].

كثيرًا ما يثار مثل هذا التساؤل:

هل هناك علاقة سببية تربط بين الحالة النفسية والإصابة ببعض الأمراض؟

وبمعنى آخر: هل تسبب الحالة النفسية إصابة شخص ما بمرض طارئ لم يكن

يشكو منه من قبل.. أو تحرك مرضًا كان كامنًا أو خامدًا فتظهره بعد سكون وتنشطه بعد خمود؟

في عيادة الطبيب ترى حالات كثيرة من هذا النوع.. إذ يحضر المريض قائلًا لطبيبه المعالج: إنه بات ليلة حزينًا، وفي الصباح فوجئ بهذا المرض. أو يقول: كنت مصابًا بهذا المرض، ولكن كانت حالته مستقرة.. لكن عندما داهمه الحزن لظرف ما، فوجئ بانتشار المرض.

والواقع أن الحزن والغضب والانفعالات المقبضة عمومًا يمكن أن تحدث أمراضًا

عند البعض لم يسبق له الشكوى منها، كما أنها - بصورة أكبر - تجعل بعض الأمراض الكامنة تزداد سوءًا، والأمثلة على ذلك كثيرة:

مرض جلدي مثل مرض الحزاز يربط المريض دائمًا بين الزعل وحدوث المرض، كذلك يصاب بعض هؤلاء المرضى بضغط الدم المرتفع.. ويؤخذ هذا دليلًا على أن العوامل التي أدت إلى (الزعل) ثم إلى مرض (الحزاز) هي التي رفعت الضغط.

مرض آخر مثل الثعلبة قد يحدث بعد صدمة عصبية مثل فقد نقود أو فشل في حب أو رسوب في امتحان أو فشل في

الحصول على وظيفة أو ترقية أو ضياع فرصة ثمينة، أو تعرض الإنسان لحادث مفاجئ كأن تصدمه سيارة مثلًا أو يدخل عليه ليلًا حيوان لا يتوقعه أو حتى شبح يتوهمه. كل هذا قد يؤدي إلى مرض الثعلبة، والواقع أن هناك مواد كيماوية تفرز في حالات الغضب أو الحزن أهمها مادة الأدرينالين.

والأدرينالين يؤدي إلى حالة من الضيق ويغلق الأوعية الدموية الصغيرة فيعمل على ارتفاع ضغط الدم ويزيد معظم الأمراض سوءًا.

ولقد فطن لذلك بعض الصالحين فكان

دعاؤهم: « اللّٰهم إني أعوذ بك من الهم والحزن » إنهم يستعيذون من الهم والحزن والغم حتى لا يرتفع الأدرينالين الذي يؤدي إلى الأمراض، واللّٰه يقول في كتابه العزيز: ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٥]، وعندما يصلح اللّٰه بال أي إنسان ينزل عليه الطمأنينة والسكينة، فيقل الأدرينالين وتنبسط الشعيرات الدموية وينخفض الضغط وتقل الأمراض... سبحان اللّٰه!!

* * *

سُبْحَانَ اللهِ !

الفَصِلُ الثَّانِي

﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾





الاكتشافات الإنسانية

يقول الحق: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [يونس: ١٠١].

الإنسان سيد هذا الكون، أعطاه الله العقل ، وبالعقل عرف الإنسان ربه وعمر الكون واخترع كل هذه المخترعات المذهلة التي أسهمت في بناء الحضارة الإنسانية التي ننعم بها الآن.

ولأن الإنسان - دون خلق اللَّه جميعًا - هو الكائن الوحيد الذي يهتدي بعقله فيميز به الخبيث من الطيب.. لهذا تعددت أخطاؤه وكثرت هفواته.

يتضح هذا من رد الملائكة على رب العزة حينما أخبرهم بقوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، فماذا قالت الملائكة؟ قالت: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

ذلك لأنها فطنت إلى أنه سيكون مختارًا في أن يفعل أو لا يفعل وأن اختياره هو الذي سيورده موارد التهلكة.

لكن حكمة اللَّه - التي خفيت عنهم - حسمت هذا الموقف بقوله ﷻ لهم:

﴿ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

أعلمهم سبحانه أن خليفته هذا هو الذي سيتولى إعمار الكون، ولما كانت هذه مهمته وهذا هو دوره، كان على من ولاه واستخلفه أن يزوِّده بكل ما من شأنه أن يساعده على أداء هذا الدور حينما ينفخ اللَّه فيه من روحه.

وكان فاتحة هذا الإعداد هو أن يعلمه الأسماء كلها؛ وذلك أن العقل الإنساني في طفولته العقلية يبدأ بمعرفة الأسماء وعندما

تزداد مداركه، وتتعدد مواهبه وترتقي ملكاته بالملاحظة ثم بالنظر والتدبر.. يقدر العلائق بين الأشياء حتى يبلغ أوج الكمال بالابتكار والاختراع..

هذا ما قدره الله في سابق علمه يقرره سبحانه في قوله الكريم:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾

[البقرة: ٣١ - ٣٣].

وكان كلما صعد الإنسان وارتقى مدارج الرقي أمره اللّٰه بالنظر إلى السماء وفي الأرض بل وأن يتدبروا في أنفسهم، وأن يسيروا في الأرض وينظروا كيف بدأ اللّٰه الخلق ليكون هذا النظر والاستبصار دافعًا لهم على تحقيق مهام الاستخلاف في الأرض التي استعمرهم فيها.

يحثنا تبارك وتعالى على ذلك بقوله:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

[يونس: ١٠١].

ويقول سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ ﴾ [الروم: ٨].

ويحثنا كذلك على السير في الأرض لجمع المعلومات بقوله سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

إننا لو استعرضنا حياة الإنسان منذ طرأ على هذا الكون.. لعلمنا أن ارتقاءه كان مرتبطًا دومًا بمدى تقدم فكره، وإعمال نظره، وسمو عقله، وما على الإنسان إلا أن يأخذ بأسباب التقدم كي يحرز في كل يوم اكتشافًا جديدًا من أسرار الكون

كانت خافية ومطمورة. فالإنسانية تحرز كل يوم فتحًا جديدًا وتقدمًا مذهلًا في كل فروع الحياة.. بدءًا باكتشاف الإنسان الأول للنار، حتى اكتشافه هو نفسه أشعة الليزر وأجهزة الكمبيوتر والأقمار الصناعية وغيرها التي ننعم بفائدتها.

لقد اكتشف الإنسان في مسيرته الإنسانية اكتشافات كثيرة مذهلة أفادته في كل مناحي حياته..

منها ما لاحظه الإنسان من أن في بلاد الإسكيمو تكون الإصابة بأمراض القلب والذبحة الصدرية ضئيلة للغاية، وعندما

بحث هذا الموضوع وجد أن السبب وراء ذلك أن سكان الإسكيمو يعتمدون في غذائهم على الأسماك الخالية من الكولسترول الذي يترسب في جدار الشرايين محدثًا التصلب الذي يؤدي إلى ارتفاع ضغط الدم والذبحة الصدرية.

ولاحظ العلماء أيضًا أن الإصابة بمرض الصدفية تكاد تكون منعدمة في بلاد الإسكيمو لنفس السبب، فبدأ العلماء بعلاج كلا المرضين بزيوت هذه الأسماك، وكانت النتيجة طيبة.

واكتشف الإنسان في كوريا نبات (الجن سنج) الذي يقوي الجهاز العصبي

ويقلل من نسبة سكر الدم، وهو يستعمل الآن على هيئة أقراص لذات الغرض، كما اكتشف الإنسان نبات الكركديه الذي ينمو في أسوان ولاحظ أنه يقلل ويخفض ضغط الدم..

في الثلاثينيات من هذا القرن بدأ العطارون في مصر في علاج مرض البهاق من نبات بذرة الخلة الشيطاني، وبتحليله وجد أنه يحتوي على مواد تجعل الجسم يستفيد من أشعة الشمس وهو الآن على هيئة أقراص تعطى لعلاج البهاق.

كما لاحظ الإنسان أن هناك شجرة في

إفريقيا لا تقربها الحشرات، وبتحليل أوراق هذه الشجرة وجد أنها تحتوي على مادة قاتلة للحشرات، تم استخلاصها وهي الآن على هيئة مرهم لعلاج القمل والجرب.

لوحظ في إفريقيا في منطقة معينة أن الرجال لا يصابون بمرض تضخم البروستاتا، فقامت شركة فرنسية بتحليل المادة الفعالة لهذا النبات وعبأتها في كبسولات لعلاج مرضى تضخم البروستاتا؛ وكانت النتيجة طيبة.

أدوية لعلاج القلب تم اكتشافها من النباتات؛ مثل: الديجيتاليس لعلاج هبوط القلب، ونبات السنكونا لعلاج الضربات الزائدة.

لقد عرف الإنسان نبات البدوفللين واستخلص منه مادة لعلاج السنط التناسلي.

كما عرف الإنسان الشطة السوداني واستخلص منها مادة تزيل الألم؛ في مرض يتميز بشدة الألم وهو مرض الهربس العصبي أو الحزام الناري الذي يصيب العقد العصبية.

إن قصة اكتشاف عقار الكورتيزون معروفة - وسوف أرويها في أحد صفحات هذا الكتاب - ولا نملك إزاء هذه الاكتشافات إلّا أن نقول: سبحان الذي خلق الداء وخلق له الدواء.. رحمةً منه وفضلًا.. وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللَّه... سبحان اللَّه!!

﴿ خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾:

يقول الحق تبارك وتعالى في محكم آياته: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦].

الجنس البشري كسائر الأجناس ذكر وأنثى، والنبات لكي يتكاثر وينمو ويؤتي ثماره لا بد أن يتم التلقيح بين ذكر وأنثى من نفس النوع - هذه معلومات أولية.

ولكن ظل قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦] عصيًّا على الفهم حتى أتاه العلم الذي يتيح لنا كل يوم مكتشفات جديدة

كنا لا ندري عنها شيئًا، نقول: أتاح العلم لنا ما كان خفيًّا مستورًا؛ فنحن على سبيل المثال لم نكن نعلم أن الكهرباء تتكون من السالب والموجب - أحدهما ذكر والآخر أنثى.. وكذلك العناصر والمعادن عندما تتأين تصبح سالبًا وموجبًا.. أي ذكر وأنثى، السحاب أيضًا سالب وموجب، وعندما تأتي الرياح يتم التلقيح بين السالب والموجب فينزل المطر.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢].

فسبحان من جعل الذكر والأنثى لدوام الحياة.

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾،

يقول الله ﷻ: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[النحل: ٨].

نزلت هذه الآية منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان ومنذ هذا الوقت والله يخلق أشياء لم يكن أجدادنا يعرفونها، ولأن المواصلات من الأشياء المهمة للإنسان فقد ضرب الله بها المثل، كان آباؤنا يركبون الخيل والبغال والحمير، ثم جاء عصر البخار وعرفنا القطار، ثم جاء عصر الكهرباء وطوَّرنا القطار واخترعنا الطائرة، ثم جاء عصر الذرة

فجاءت طاقة جديدة لتسير مركبات جديدة مثل الغواصة وغيرها.

ونحن لا نعرف ما الذي سوف يأتي بعد ذلك، ولكن عطاء اللَّه دائمًا يظل متجددًا ليبقى قوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨] دليلًا وشاهدًا على صدق القرآن الكريم الذي لا يحتاج إلى برهان أو دليل.

فسبحان من لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.. وهو العليم الخبير.

قصة اكتشاف الكورتيزون:

يقول ربنا الحق: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ

لَا تُحۡصُوهَآۗ ﴾ [النحل: ١٨]، ويقول سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ١١٣].

أسرار اللَّه في كونه متعددة ومتنوعة بما لا يمكن أن تقع أعدادها تحت عد أو حصر، وهذه الأسرار لم تطرأ على الإنسان أو على الكون الذي يعيش فيه، وإنما سبقت وجوده.. لتكون ذخيرة له حين يحين وقت بروزها واكتشافها، فللَّه سبحانه في كل زمن عطاءات ربوبية يتيحها سبحانه لبعض خلقه لتنتفع بها الإنسانية جمعاء.. وأخذًا بيدها إلى مدارج الرقي والرفاهية،

أو منعًا لآلامها وبرءًا من أمراضها كي تنعم بالحياة الرغدة ﴿ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ [الحجرات: ٨]، ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٥٤].

إننا لو تتبعنا كل كشف من هذه الاكتشافات على مرِّ الأحقاب والسنين لوجدنا أن كل كشف منها قفز بالإنسان قفزة هائلة أتاحت له سبلًا من الحياة لم تخطر له يومًا ببال.

ولنا أن نتخيل الآن شكل الحياة الإنسانية لو لم تكتشف الكهرباء أو البخار أو قانون الجاذبية أو الطفو، أو خصائص

الهواء والأثير الذي جعل العالم كله - على اتساعه - أشبه بقرية صغيرة.

ماذا ستكون عليه الحياة لو لم يكتشف البنسلين مثلًا أو الأسبرين أو المضادات الحيوية الأخرى؟

إن عقار الكورتيزون من العقاقير المفيدة للبشرية جمعاء، وقصة اكتشاف هذا العقار تدعو إلى العجب.

فلقد كان أحد العلماء يبحث عن عقار يخفف الآلام وأضناه البحث، فدعاه صديق له يعمل في المملكة العربية السعودية ليأخذ قسطًا من الراحة ويتعرّف على مجتمع

وثقافة غريبتين عليه، فلبى دعوة صاحبه، وفي السعودية لفت نظره أنهم يذبحون الخراف أو البقر ثم يأخذون الحويصلة المرارية (المرارة) ويضعونها فوق أعلى منازلهم ثم يتركونها للشمس الشديدة نهارًا وللبرودة ليلًا، وبعد فترة يأخذونها ويفركونها ثم يدهنون بها مكان الألم، وكان مفعوله عظيمًا في تخفيف حدة الألم.

هذا العالم أخذ هذا المسحوق ودرسه واستخلص منه عقار الكورتيزون الذي سعدت به البشرية وما زالت تنعم بفضله في علاج العديد من الأمراض سواء الباطنية

أو الروماتزمية أو الجلدية.

وعندما نجح العالمان الأمريكيان كيندال ولنش في استخراج الكورتيزون من السائل المراري (المرارة) للبقر كان تحويل السائل المراري إلى مادة الكورتيزون يحتاج إلى أربعين خطوة كيميائية وكان يستلزم للحصول على جرام واحد من الكورتيزون ذبح أربعين بقرة، وكان الجرام الواحد من الكورتيزون يتكلف ألف دولار في ذلك الوقت مما دعا الرئيس ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بإعطاء توجيهاته لوزارة الزراعة الأمريكية بالبحث

عن نباتات ممكن استخراج الكورتيزون منها وبذلك تكون مصدر رخيص للكورتيزون.

فقامت وزارة الزراعة الأمريكية بعمل مسح لنحو خمسة آلاف نبات، وأخيرًا توصلوا إلى نبات يستطيعون منه الحصول على الكورتيزون وبطريقة اقتصادية، ونجح اليابانيون أيضًا في استنباط الكورتيزون من نبات الديسكوريه.

وظل نبات الديسكوريه هو المصدر الوحيد للكورتيزون لفترة طويلة إلى أن نجح العلماء في تصنيع الكورتيزون في المعمل بعد أن توصلوا إلى تركيبته الكيميائية.

وبالرغم من وجود بعض الآثار الجانبية لعقار الكورتيزون إلا أن الكل يجمع على أنه عقار مفيد جدًّا إذا أحسن استعماله بواسطة طبيب حاذق يدرك مخاطره ويعرف السيطرة على آثاره الجانبية الناتجة عن سوء الاستعمال، أو في حالة ما إذا أخذ بجرعات كبيرة مثل عشرين أو ثلاثين قرصًا في اليوم أو أخذ لمدة طويلة.

أما في الجرعات الصغيرة مثل قرص أو قرصين أو ثلاثة أو حتى خمسة أقراص في مدة قصيرة فلا خوف من ذلك إذا ما كان هذا العلاج تحت الإشراف الطبي السليم.

فسبحان من خلق الإنسان وهداه وعلمه ما لم يعلم.. وكان فضل الله علينا عظيمًا.

وداوني بالتي كانت هي الداءُ

يقول الحق جل وعلا في محكم كتابه الكريم: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ﴾ [الروم: ٨].

قد تقودنا دراستنا لمرض معين إلى اكتشاف علاج لمرض آخر، وهذا ما حدث بالنسبة لمرض جلدي يسمى التينيا الملونة، وهو مرض منتشر يصيب العديد من البشر.

هذا المرض سببه فطر معين يعيش على سطح الجلد، وبسببه تظهر بقع بنية على

السطح، وقد تتحول هذه البقع البنية إلى بقع بيضاء.

لقد احتار العلماء في تفسير ظهور هذه البقع البيضاء.. بعضهم قال:

(إن سببها هو أن الفطر يحمي ما تحته من جلد من أشعة الشمس مثلما تحمي ساعة اليد مثلاً ما تحتها، فإذا خلعت الساعة ظهرت بقعة بيضاء أسفلها).

لكن أحد العلماء اكتشف في معمله أن البقع البيضاء سببها أن الفطر المسؤول عن التينيا يتفاعل مع المواد الدهنية في طبقة الجلد مما يؤدي إلى ظهور حامض معين،

هذا الحامض هو الذي يقلل من إفرازات الخلايا المسؤولة عن تلوين الجلد وبالتالي يصبح لون الجلد أبيض في هذه البقعة.

وتبنى بعض العلماء هذه الفكرة وبدأوا في تحضير هذا الحامض في المعمل، ثم عالجوا به الأمراض الجلدية الملونة مثل الكلف والنمش وغيره.

وهكذا اكتشف العلماء - بعون الله وتوفيقه - دواءً جديدًا فتح باب الأمل واسعًا أمام المرضى الذين يعانون من زيادة تلوين الجلد، وسبحان الذي أودع في الإنسان خصائص تلهمه وترشده وتهديه

إلى الصواب وما كان له أن يهتدي إليها لولا أن هداه اللّٰه.. وسبحان اللّٰه!!

* * *

سُبْحَانَ اللّٰهِ !

الفَصْلُ الثَّالِثُ

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ
فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾





عندما شاءت إرادة اللَّه أن يجعل له في الأرض خليفة - خلق الإنسان من سلالة من طين وجعل من هذه السلالة شعوبًا وقبائل، وعندما خلق اللَّه الإنسان خلق له العديد من الحيوانات والنباتات والطيور؛ لتخدم هذا الإنسان وتسهل له مهمة الاستخلاف في الأرض التي أسندها اللَّه إليه.

هذه الحيوانات والنباتات والطيور وما شابهها من خلق اللّٰه ما هي إلا أمم أمثالنا كما يقول القرآن الكريم.. فكما أن هناك الإنسان الأوروبي والأمريكي والمصري والهندي والصيني والإفريقي.. هناك أنواع عديدة من الحيوانات والطيور والنباتات.

إنك إذا ذهبت إلى حديقة الحيوان رأيت العديد من الأنواع والفصائل المختلفة من الحيوانات؛ فالنمور أو الفهود مثلًا، ليست كلها فصيلة واحدة ولكن هناك النمر الهندي، والنمر الإفريقي.. إلخ.

فإذا ما انتقلنا إلى مجال الطب وجدنا

الفطريات مثلًا.. أممًا مثلنا.. فالعديد منها يمكن أن نميزه بالشكل الخارجي، وعند زراعتها في أطباق لعمل فحوص معملية عليها وجدنا أنواعًا من هذه الفطريات يزيد على خمسة آلاف نوع موزعة على كل أنواع العالم، ولكن بعضها فقط قادر على إحداث أمراض في الإنسان.

وبدراسة هذه الأنواع وطريقة عملها وشكلها تحت المجهر العادي والإلكتروني، أمكن استنباط العديد من الأدوية القادرة على قتل هذه الفطريات وتخليص جسم الإنسان منها.

وهناك الآن العديد من هذه الأدوية الفعالة القادرة على قتل هذه الفطريات

بالجلد، والأظافر، وحتى زمن قريب كان علاج فطر الأظافر صعبًا ويستغرق ما يربو على ست شهور إلى سنة، ولكن بالأدوية الحديثة أمكن القضاء على هذه الفطريات فيما يقل عن ستة أسابيع.

فسبحان القائل: إنها أمم أمثالنا، وسبحان من هدانا إلى تصنيفها وتمييز أنواعها وفصائلها، وأرشدنا إلى وسائل قتلها وإبادتها بتحضير المضادات المناسبة لها.. لإراحة البشر من ويلاتها ومضاعفاتها.

فسبحان من جعل لكل داء دواء وسبحان اللَّه!!

* * *



الحيوان أقوى من الإنسان ولكنه مسخر له

يقول الحق تبارك وتعالى معددًا لنا نعمه، ومظهرًا لنا آلاءه وأفضاله في محكم آياته البينات:

﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا

وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣].

شاهدت لقطة من فيلم تليفزيوني عن شباب يربطونهم على ظهور الثيران ثم يفتحون الباب للثور الذي ينطلق في هياج شديد؛ ويظل يقفز يمينًا وشمالًا وفي كل اتجاه حتى يقع راكبه على الأرض مضرجًا بدمائه! وأحسب أنها نوع من المنافسة المثيرة بين الشباب الأقوياء.

في هذه المنافسة حاول ما يربو على الخمسين شابًّا نفس الشيء فكان السقوط على الأرض من نصيبهم جميعًا.

قلت لنفسي وقد توجَّه قلبي بكليته إلى

اللَّه: سبحان من ذلل وسخَّر لنا بعض خلقه، وما كنا لها مقرنين.

لقد جعل سبحانه جميع مخلوقاته في خدمة - سيد الكائنات - الإنسان. سخَّر له الشمس التي تهب الحياة والدفء وجعل القمر نورًا، كما سخَّر له بعض الحيوانات التي تعينه وتحمله إلى بلد لم يكن ليبلغه إلا بشق الأنفس.. هذا إذا مشى على الأرض..

أما على الماء - في الأنهار والبحار - فقد سخَّر له الفلك التي تجري في البحر بنعمة اللَّه وذلك حتى لا يتعرض للمشاق، فيقول مظهرًا نعمته على الناس: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَاۗ

لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٥ – ٨].

ولولا هذا التسخير لما استطاع الإنسان أن يطأها.. إنها تقوم بعملها لا تتضرر ولا تتأفف؛ بل هي مذللة بتسخير الله لها على الدوام في كل وقت ليلًا أو نهارًا، في كل الظروف وفي جميع الأحوال لا يمنعها

عن ذلك قيظ الصيف ولا زمهرير الشتاء.

وقد يتعرض بعض هذه الحيوانات للإيذاء الشديد أو التنكيل.. عندئذ يكون عقابها لمن يؤذيها أشد وأنكى، مما يعني أنها أقوى من الإنسان بل وقادرة على الفتك به.

إن الجمل على سبيل المثال إذا دأبت على إيذائه ربما أدى ذلك إلى الانتقام منك.. لقد سمعنا عن الجمل الذي يشد صاحبه (المؤذي) من فوق ظهره ويرميه على الأرض، كما سمعنا عن الجمل الهائج الذي يجري وراء صاحبه ليقتص منه إلى أن خلع صاحبه كل ملابسه حتى

لا يشده منها.

ومن طريف ما يروى عن الحمار - المتهم ظلمًا من الإنسان بالبلادة، وسوء التفكير - أنه في بعض الأحوال إذا ما غضب ممن يركبه فإنه يسير به بجوار حائط ثم يحك جسده به قاصدًا إيذاءه، والقصاص منه.

وهذا دليل على قوة هذه الحيوانات، ولولا أنها مسخرة كما قلنا بأمر اللَّه ما ركبها الإنسان وما كانت خادمة له.. فسبحان من سخَّرها لنا.. سبحان اللَّه!!

* * *



خَلْق الإبل

يوجه ربنا نظرنا إلى دقائق صنعه كي ترسخ دعائم الإيمان في قلوبنا؛ فيقول في كتابه الكريم: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧].

إن خلق الجمل – سفينة الصحراء بحق – هو آية من آيات اللّٰه.. فمن غيره يستطيع أن يتحمل الجوع والعطش في صحراء

شديدة الحرارة مترامية الأطراف وهو يحمل الأثقال أسابيع وشهورًا؟

لقد حباه اللَّه وهيأه لأداء وظيفته في خدمة الإنسان.. حباه سنامًا يختزن فيه طعامه وشرابه.. كما أمدَّه بقدرة على اجترار الطعام واسترجاعه بعد بلعه.. كما حباه أيضًا بخاصية أخرى تناسب مهمته التي خلق من أجلها، هذه الخاصية هي قدرته على أن يحافظ على كل قطرة من قطرات الماء الذي يختزنه فلا يفقد منه شيئًا ولو يسيرًا إلا لسبب معين.. ليكون هذا الماء له ذخيرة ومددًا في مواجهة الشدائد

في لظى الصحراء.

وفي السطور القليلة القادمة سوف أوضح كيف يحافظ الجمل على كل قطرة من قطرات الماء التي يختزنها:

يوجد في الطبقة العميقة من الجلد عضلة صغيرة تصل بين الشعرة والألياف المحيطة بها - هذه العضلة إذا انقبضت جعلت الشعرة تبرز إلى الخارج فيبدو شعر الجسم واقفًا، ويعبر العامة عن ذلك بقولهم: (شعره وقف من الخوف - مثلًا).

ذلك لأن هذه العضلات تنقبض عندما يعتري الإنسان شيء من الخوف أو الفزع

أو تعرض لبرودة شديدة. فمع التعرض للبرد تنقبض كل عضلات الجسم في محاولة لرفع درجة حرارة الجسم ومن هذه العضلات التي تنقبض عضلات طبقة الأدمة فيبدو الشعر بارزًا إلى الخارج.

في الجمل يحدث عكس ما يحدث في الإنسان؛ أي أن عضلات طبقة الأدمة تنقبض مع التعرض للحرارة الشديدة لماذا؟ وما فائدة ذلك؟

الجمل عندما يتعرض للحرارة الشديدة تنقبض عضلات الأدمة فيبرز الشعر مبتعدًا عن قطرات العرق التي خرجت من الجلد

فتتبخر هذه القطرات من على سطح الجلد مباشرة وبتبخرها تنخفض درجة حرارة الجمل سريعًا. فماذا يحدث لو لم تنقبض هذه العضلات مع التعرض للحرارة الشديدة؟

إن قطرات العرق عندما تخرج تجد الشعر نائمًا وليس واقفًا فيبتل الشعر ويتبخر الماء من الشعر المبتل وليس من سطح الجلد مباشرة، والنتيجة أن التبخر يأخذ وقتًا أطول، وترطيب درجة حرارة الجمل تأخذ وقتًا أطول أو أن الجمل عليه أن يخرج كمية أكبر من العرق إذا أراد لدرجة حرارته أن تنخفض بنفس السرعة.

كذلك فإن ابتعاد الشعر عن منطقة العرق يزيد من مساحة الجلد المعرض للجو الخارجي مما يجعل فقدان الحرارة أحسن وأفضل.

وسبحانه يمتن على عباده بتوجيه أنظارهم إلى عظمة خلقه وبدائع صنعه بقوله الكريم:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾

[الغاشية: ١٧].

* * *



يقول الحق ﷻ مظهرًا لعباده مدى الفضل الذي طوق أعناقهم به، ومدى التكريم الذي أنعم به عليهم.. تطييبًا لنفوسهم وإظهار مدى حبه لهم:

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل: ٧٨].

ويقول سبحانه: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن

تَعۡلَمُۚ ﴾ [النساء: ١١٣].

ويقول: ﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٩].

إن اللّٰه سبحانه هو الذي أتاح العلم للإنسان وفتح له آفاقه، وهو الذي هداه إليه منذ أن علَّم أباه آدم الأسماء كلها.

وتعليم الأسماء - كما نعرف - هو أول ما يتعلمه الطفل من مفردات اللغة في مراحل طفولته العقلية؛ ذلك أن الطفل يبدأ تعليمه بمعرفة الأسماء مجردة ثم يتدرج مع تقدم سنه وتعدد خبراته إلى معرفة الأفعال والحروف حتى تكتمل لديه أسس لغة المخاطبة

لينطلق بعد ذلك - وقد امتلك ملكته اللغوية - إلى مرحلة الإبداع، شعرًا ونثرًا.. كاتبًا أو مؤلفًا أو محاضرًا أو أن يعمل في معمله أخذًا بأسباب العلم والتجربة حتى يفتح اللَّه عليه بابًا من أبوابه ربما لم يلجه أحد قبله فيكتشف شيئًا أو يلحظ أمرًا أو يحقق اختراعًا أو يجري اللَّه على يديه ما يكون سببًا في رخاء البشرية وسعادتها.

وكما هدى اللَّه الإنسان إلى العلم (بالعقل) فإنه سبحانه هدى الحيوان بالغريزة التي تمكنه من استمرار حياته وبقاء نوعه.

فخلال فصل الشتاء حيث يغمر الثلج

الأرض والجبال ويقل الغذاء نرى بعض الحيوانات تقوم بالبيات الشتوي، ففي هذه الفترة من العام تسكن هذه الحيوانات لا تأكل ولا تشرب ولا تخرج فضلات، وإنما تنام في سكون تام قرابة خمسة أشهر.

فالدب القطبي مثلًا يقضي هذه الفترة كل عام، ثم يخرج بعدها معافى لا يشكو شيئًا، فإذا قارنا الدب الذي قضى خمسة شهور لا يتحرك ولا يخرج إفرازات بالإنسان أو أي حيوان آخر ولنقل الحصان على - سبيل المثال - نجد فرقًا شاسعًا، فالإنسان أو الحصان مثلًا إذا قضى خمسة شهور

لا يتحرك فإنه يصاب بتسمم البولينا وترقق العظام من عدم الحركة.

لقد اهتم العلماء الأمريكيون بدراسة هذه الظاهرة على هذا الحيوان فوجدوا أن مستوى الكالسيوم في دم الدب يبقى ثابتًا خلال فترة البيات الشتوي، وهذا يبدو غريبًا؛ لأن أي حيوان آخر يبقى هذه الفترة الطويلة بدون حركة فإن الكالسيوم يخرج من عظامه فيرتفع مستوى الكالسيوم في الدم وتصبح عظامه هشَّة رقيقة.

أما في الدُّب أثناء فترة البيات الشتوي، فقد خصَّه اللَّه سبحانه بميزة هي أنه قادر

على استعمال الكالسيوم الذي يخرج من عظامه في بناء عظم جديد يترسب في أماكن أخرى من هيكله العظمي، مما يدل على أن جسد الدب في رحلة البيات الشتوي يحتوي على مادة كيماوية تساعده على أخذ الكالسيوم الذي خرج من العظام وترسيبه في أماكن أخرى من هيكله العظمي.

والأبحاث على قدم وساق لمعرفة كنه هذه المادة لاستعمالها في علاج مرض (ترقق العظام) أو (وهن العظام) الذي يصيب بعض الآدميين ولا نجد له علاجًا.

والشيء الغريب حقًّا أن الدُّب في فترة

البيات الشتوي لا يصاب بتسمم البولينا؛ أي أن مادة اليوريا لا ترتفع في دمه في حين أن الإنسان إذا لم يتبول لعدة أيام أصيب بالبولينا التي تؤدي إلى الوفاة.

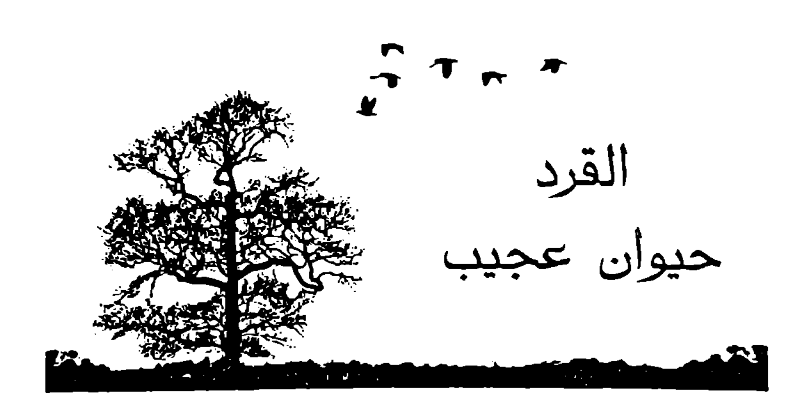
إن هذا يرجع إلى دقة صنع اللَّه العليم الخبير الذي أمدَّ كل خلقه بما يحتاجه في معاشه، وهذا يتمثل في قدرة الدب على تكسير مادة اليوريا وتحويلها إلى أحماض أمينية.. أي مواد زلالية، في حين أن الإنسان لا يستطيع الحصول على المواد الزلالية أو البروتينية إلا عن طريق الطعام.

فسبحان من حثَّنا على العلم وحضَّنا

على الأخذ بأسبابه وجعله تشريعًا وتقنينًا، فكان أول أمر أصدرته السماء ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ [العلق: ١] وسبحان من أعطانا المثل لندرسه ونخرج منه بعلم يفيد البشرية جمعاء.

وسبحان من أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئًا.. ثم علمنا ما لم نكن نعلم.. وكان فضل الله علينا عظيمًا.

* * *



توصل العلماء الأمريكيون إلى أن الإنسان ليس وحده - دون سائر الكائنات - الذي في استطاعته وصف الدواء لنفسه وتعاطيه...!

فقد اتضح لهؤلاء العلماء - بعد إجراء أبحاث مستفيضة ومشاهدات كثيرة - أن القرود قادرة على وصف العقاقير لنفسها لمواجهة ما تتعرض له من الأمراض،

أو لتحسين وظائف الأعضاء لديها حتى أصبح هناك علم جديد يسمى (علم العقاقير للحيوانات) فقد لاحظ العالم ريتشارد.. الأستاذ في جامعة هارفارد، أن القرود تأكل أوراق نبات معين - بدون مضغ. ..

وعن هذه الأوراق يقول عالم علم الأدوية والسموم (ألوى):

إنه بتحليل هذه الأوراق وجد أنها تحتوي على مادة كيميائية قادرة على قتل الديدان في القناة الهضمية للقرد، ولما كان القرد يتناولها دون أن يمضغها فإن المادة الكيميائية تبقى سليمة لتنساب إلى الأمعاء

حيث تتركَّز الديدان فتقضي عليها.

وفي ملاحظة أخرى وجد أن إناث القرود تتناول نوعًا من الثمار لزيادة الإخصاب، والمعروف أن أنثى القرد تضع طفلها في الغالب في شهري يوليو وأغسطس وهو فصل جفاف، وتستمر الأنثى في القيام بعملية الإرضاع لمدة ثمانية عشر شهرًا، وبعد ٦ أشهر من توقف الرضاعة تصبح الأنثى بعدها في وضع يسمح لها أن تحمل مرة أخرى.

وفي بداية فصل الأمطار تعمل الأنثى على زيادة الإخصاب لديها، وذلك بالبحث عن ثمرة معينة تنمو على حدود الغابات

المطرة، وفي سبيل الحصول عليها فإنها تقطع مسافات طويلة لكي تحصل عليها.

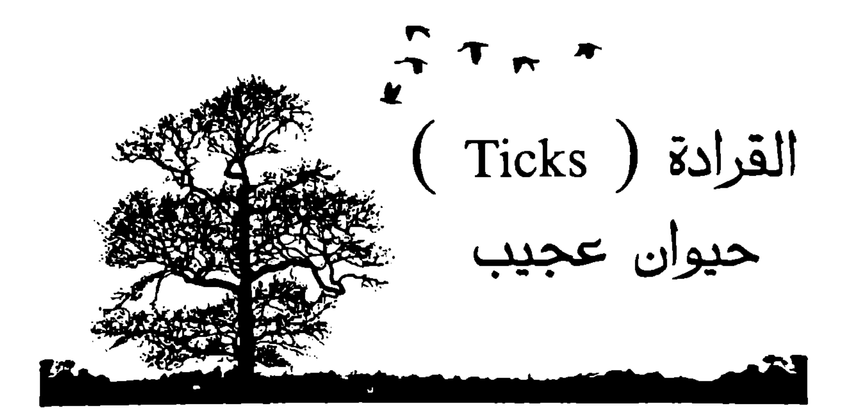
وبتحليل هذه الثمرة تبين أنها تحتوي على مادة (أستجماستيرول) وهذه المادة تستعمل في المعمل لتنشيط إفراز هرمون (البروجستيرون) الذي يفرزه المبيض، وأن أنثى القرد تأكل منها لتنشيط الخصوبة لديها.. حفظًا لنوعها وأداءً لمهمتها وقيامًا بوظيفتها دون أن تدري ولكنها الغريزة التي أودعها اللّه فيها.

من الذي أوحى إليها أن تتكبد هذه المشاق في قطع هذه المسافات الطويلة؟!..

إنه اللَّه.

وأمام هذه الظاهرة الفريدة لا يملك الإنسان إلا أن يقول: سبحان اللَّه!!

* * *



القرادة (Ticks)
حيوان عجيب

القرادة حشرات ماصة للدماء محدثة أمراض معينة منها بعض أنواع الحميات هذه الحشرات مخلوقات رقيقة ومعظم الذين لدغتهم هذه الحشرات لا يتذكرون ذلك، لماذا؟ لأن هذه الحشرات عندما تدخل فمها في جسم الإنسان فإنها تفرز اللعاب ولعابها يحتوي على المواد الآتية:

* مواد مخدرة لمنع الألم.

* مواد محدثة سيولة بالدم.

* مواد مضادة للحساسية.

* مواد لتغلق الجرح الذي أحدثه دخول فمها ولعابها إليه.

هل رأيت لطفًا أكثر من هذا، حشرة تقرصك دون أن تشعر. الإنسان تعلم من هذه الحشرة.

فهي تفرز مواد مبطلة لمادة الهيستامين، والمعروف أن الهيستامين هو الذي يحدث الاحمرار والتورم بالجلد بعد أن تلدغه الحشرات، أخذ الإنسان هذه المواد التي

تفرزها القرادة وقام بتحليلها لاستخدامها كمواد مضادة للحساسية، وهي في الطريق كمستحضرات طبية سوف نجدها في الصيدليات قريبًا.

* * *



القملة تسعل (تَكُحُّ).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦].

القملة مثال على ذلك، حشرة صغيرة عاشت منذ بدء الخليقة وجاء ذكرها في القرآن. القملة حباها الله بموانع دفاعية طبيعية جعلتها تعيش كل هذه القرون.

الشخص المصاب بقمل الرأس يغسل رأسه بالماء فلا تموت القملة غرقًا، في المعمل خذ قملة وضعها في أنبوبة اختبار بها ماء وبعد ربع ساعة أخرجها من الماء تراها إذا خرجت من الماء ما زالت حية تسعى، لماذا؟ لأن القملة تستطيع أن تغلق جهازها التنفسي لمدة ربع ساعة كاملة إذا وضعت في الماء.

القملة ليس عندها رئة كما في الإنسان ولكنها تحصل على الهواء أو الأكسجين اللازم لها عن طريق ممرات هوائية ممتدة بطول الجسم وفي آخر هذه الممرات توجد صمامات تتحكم في دخول وخروج الهواء.

فإذا وضعت سوائل لزجة لسد هذه الصمامات في محاولة لقتلها فإن القملة قادرة على طرد هذه السوائل قبل أن تلتصق بها بأن تجعل جسم القملة ينقبض ويطرد هذه السوائل وهذا شبيه بما يفعله الإنسان في طرد شيء ما عن طريق السعال (الْكُحَّة) وهذه الصمامات أيضًا طاردة للماء؛ وذلك لوجود كيس هوائي عند فتحه هذه الصمامات تمنع دخول الماء إليها.

لذلك فكر أطباء الأمراض الجلدية في علاج القمل بوضع فازلين على الرأس ليسد هذه الصمامات وقد نجحت هذه الفكرة جزئيًا؛ لأن بعد إزالة هذه المواد تستطيع

القملة استعادة قدرتها على الحركة...

سبحان اللَّه!!

القملة، كيف تضع بيضها؟

في جسم القملة الأنثى توجد غدتان تصبان في خزان واحد؛ الغدتان تفرزان مادة صمغية، هذه المادة تكون سائلة طالما هي في الخزان ولكن إذا أخرجت خارج جسم القملة وتعرضت للهواء فإنها تتجمد.

كيف تضع القملة بيضها؟

١ - مادة صمغية تفرز على جذع الشعرة كسائل وهذا يستغرق ثانية واحدة.

٢ - القملة ولها بروز في الخلف تستخدمه

في فرد المادة الصمغية ليصبح مهدًا يستقبل البيضة على سطح الشعرة وهذا يستغرق عشر ثواني.

٣ - خروج البيضة مغطاة بالمادة الصمغية إلى المهد المعد سلفًا كما ذكرنا في الخطوة الثانية وهذا يستغرق خمس ثواني.

عملية خروج البيضة وتغطيتها بالمادة الصمغية لا تتم اعتباطًا فالمادة الصمغية لا تغطي كل البيضة ولكن تترك جزء منه دون تغطية حتى يستطيع الجنين داخل البيضة أن يتنفس.

من علم القملة كل هذا... سبحان الله!!



التسبيح
(النبات يتكلم)

﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

من محكم آيات ربنا البينات نقرأ قوله الحق: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٣].

ويقول جل وعلا: ﴿ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

إن هذا يعني أن اللَّه جعل لكل خلق من خلقه لغة يخاطب بها ويعبر من خلالها عن نفسه - طيرًا أو نباتًا أو جمادًا - لقد طالب سبحانه الجبال أن ترجع الصوت مع داود وأن تردد تسبيحه، فهو خالقها وهو أعلم بلغة تخاطبها ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾ [سبأ: ١٠].

إن من معجزات الرسول ﷺ تسبيح الحصى بين يديه، وحنين الجذع الذي كان يتكئ عليه..

وقد أثبت القرآن الكريم أن للسماء والأرض مشاعر وأحاسيس بالنسبة لما يجري

فيهما، وذلك بنص القرآن الذي يخبر عن موقفهما تجاه من خالف منهج اللَّه وتخطَّى حدوده ولم يلتزم بشريعته حينما يفارقون الدنيا بالموت. يقول سبحانه عن هؤلاء الكافرين المكذبين: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [الدخان: ٢٩].

لقد علَّم اللَّه سليمان عليه السلام منطق الطير ولغة النمل، ففي معرض ذكر آلاء اللَّه عليه يقول كما يحكي القرآن: ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ [النمل: ١٦]، وأنه تبسم عندما سمع النمل وهو يطلق صوت التحذير عندما داهم جيش سليمان وادي النمل

وذلك كما يحكي القرآن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨].

وعندما حاور الهدهد بعد أن تفقَّد الطير فلم يجده وبعدها توعَّده بالذبح ما لم يأت بحجة قوية تبرر هذا الغياب الذي اعتبره سليمان عدم انضباط!

يذكر القرآن هذه التفاصيل كلها ليثبت لنا أن لكل كائن مهمة وواجبًا عليه أن يقوم به فيقول: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ

لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ٢٠، ٢١].

وعندما أتى الهدهد بحجته وأوضح موقفه وهذا لا يأتي إلا عن طريق لغة مفهومة وحوار مقنع وأخذ وعطاء عفا عنه، كل هذا آمنا به وصدقناه، فإذا جاء عالم غربي لا يتبع منهج الإسلام ولا يدين به ويثبت بعد ١٤ قرنًا أن للنبات لغة ومنطقًا، وأنها تتكلم بموجات صوتية لا تسمعها الأذن البشرية، فهذا ما يضاعف من إيماننا بإعجاز كتاب ربنا الذي لا تنتهي عجائبه، ولا تنتهي معطياته على مرِّ الحقب والقرون.

لقد نشر البروفيسور جون ملبورن الأستاذ

بجامعة نيوانجلند في الولايات المتحدة دراسة مستفيضة يثبت فيها أن النبات يتكلم، وأن له لغة يتخاطب بها عبر موجات صوتية يطلق عليها (Ultrasonic) أي تتخطى حاجز الصوت وهذه الموجات لا تسمعها الأذن البشرية وإنما تسمعها بعض الحيوانات والحشرات، وبعض هذه الأصوات تصل أحيانًا إلى حدٍّ يمكن الإنسان أن يسمعه كما في ظروف الجفاف والعطش، فتبدأ جذور النبات بالفرقعة كأنها تطلب الري.

وفي أيام الإخصاب تصدر الأزهار أصواتًا تسمعها الفراشات ويسمعها النحل

وكأنها تتعجل حبوب اللقاح حتى لا يفوتها موسم التزهير، وقد تنتبه بعض الحشرات الضارة لتلك الأصوات وتفطن إلى وجود هذه الأزهار، فتهرع هذه الحشرات نحوها لتفترسها.. فسبحان اللّه الذي أحاط بكل شيء علمًا.

* * *

سُبْحَانَ اللهِ !

الفَصْلُ الرَّابِعُ

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ ﴾





المشارق والمغارب

يقول ربنا سبحانه: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ [المعارج: ٤٠].

في هذا النص القرآني الحكيم يقسم رب العزة ببعض خلقه.. يقسم بالمشارق والمغارب، في الوقت الذي لم يكن العرب يعرفون فيه سوى شرق وغرب واحد... فمنذ ١٤ قرنًا – وقت نزول القرآن – لم يكن

للعرب اتصال إلا بالبلاد القريبة منهم مثل اليمن والشام، والشمس في هذه البلاد تشرق وتغرب - تقريبًا - في نفس الوقت.

ولكن في العصور الحديثة واتساع العالم واكتشاف القارات الجديدة، ومع ثورة المواصلات التي قربت المسافات بين القارات الست: آسيا وأوروبا وإفريقيا والأمريكتين وأستراليا، وسهولة الانتقال إليها في ساعات جعلتنا ندرك لماذا أقسم اللَّه بالمشارق والمغارب منذ ١٤ قرنًا وقبل أن يعرف من تنزل عليهم القرآن مغزى هذه المشارق والمغارب.

لقد عرفنا الآن أنه عندما يكون الوقت ظهرًا في أمريكا، يكون قد حان أذان المغرب في الجزيرة العربية، وعندما تشرق الشمس في اليابان تكون قد غربت في بعض البلدان الأخرى.. وبهذا تحقق لنا علمًا لم يتح للصدر الأول للإسلام.. كما أنه سيتاح لمن يأتي بعدنا علم لم يتح لنا.. فسبحان من قال وقوله الحق: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴾

[الصافات: ٥].

* * *



الشمس وفضلها

يقول اللّٰه تبارك وتعالى في محكم آيات التنزيل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ﴾

[يونس: ٥]

ويقول سبحانه: ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾

[نوح: ١٦]

ولا يتوقف نفع الشمس عن تلك الحدود وإنما يتعدى نفعها إلى أمور كثيرة يحتاج

إليها كل كائن حي؛ إن لها وظائف متعددة وأغراضًا متشعبة، فرغم أشعتها الكثيرة المتنوعة.. إلا أن لكل إشعاع منها وظيفة يقوم بها. فهي تحتوي على الأشعة فوق البنفسجية، وهذه الأشعة ثلاثة أنواع:

نوع قصير لا يستطيع أن يصل إلى سطح الأرض لوجود طبقة الأوزون، وهذا ضار جدًّا بالإنسان؛ لأنه يساعد على ظهور سرطان الجلد، وهنا تتجلى حكمة الخالق الحكيم في أن هذا النوع من الإشعاع لا يستطيع أن يصل إلى سطح الكرة الأرضية وذلك بفضل طبقة الأوزون التي

خلقها اللَّه لذلك.

إننا نسمع الآن عن ثقب طبقة الأوزون، ومعنى ذلك أنه في أماكن معينة بدأت طبقة الأوزون تتآكل - بفعل الإنسان - مما يسمح بمرور الأشعة فوق البنفسجية القصيرة التي تصيب الجلد بالسرطان؛ ولذلك يجب أن ننصت لخبراء البيئة وهم ينصحوننا بعدم استعمال مواد كيماوية معينة تدخل في تركيب البيروسول وغيره وتعمل على تآكل طبقة الأوزون.

كذلك تحتوي أشعة الشمس على نوع آخر من الأشعة الطويلة الموجة، وهذا النوع

يستعمل لعلاج بعض الأمراض الجلدية كالصدفية والبهاق.

وحتى لا يتأثر الإنسان بالأضرار التي تنتج عن التعرض الزائد للشمس فقد خلق اللَّه له - لحمايته - خلايا معينة تفرز مادة تجعل لون البشرة بنيًّا أو أسودَ؛ ولذلك نجد أن أسوأ أنواع الجلد الذي يصاب بالسرطان سريعًا هو جلد الرجل الأبيض الذي يعيش في الشمال حيث الشمس القليلة، ولكن هذا الرجل الأبيض إذا ذهب إلى أستراليا مثلًا أو إلى أي مكان آخر به شمس ساطعة فإنه يصبح عرضة للإصابة بمرض السرطان.

وفي مصر نجد معظم الناس ذوي بشرة بنية؛ ولذلك فإن سرطان الجلد قليل الحدوث بين المصريين والفضل في ذلك لهذه الخلايا الملونة.

ولكي نعرف قيمة هذه الخلايا الملونة فإن اللّٰه يخلق بعض الناس بدون هذه الخلايا، وهؤلاء الناس يسمون « بعدو الشمس » وهم عرضة للإصابة بالسرطان في سن مبكرة إذا لم يحموا أنفسهم من أشعة الشمس الحارقة.

فالحمد للّٰه الذي وقى خلقه من بعض خلقه وجعل في كل جسد جنودًا يذودون عنه الأمراض ويحمونه من ويلاتها وأخطارها دون أن يدري.. وسبحان اللّٰه!!



الليل والنهار

يقول الحق سبحانه في معرض امتنانه على عباده مظهرًا رحمته بهم وعطفه عليهم ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا ﴾ [الفرقان: ٤٧]. ويقول سبحانه: ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ ﴾ [النمل: ٨٦].

خلق الله الإنسان ويعرف ما يصونه

ويحفظه، فهو صانعه، وكل صانع أدرى بصنعته ويعرف ما يصونها ويحفظها.. فصانع السيارة مثلًا يعلم أنه لكي يحافظ على حسن أدائها عليه أن يقوم ببعض الأمور التي تتمثل في تغيير الزيت كل فترة، وتنظيف أجزاء معينة كل عدة أشهر، وكذلك تغيير البوجيهات وغيرها ضمانًا للاستخدام الأمثل.

إن هذا ينطبق على الليل بالنسبة للإنسان، فالنوم يغسل كل المواد الكيميائية التي تحدث بجسمه أثناء النهار، فمع حركة الحياة اليومية تعمل العضلات، وتزداد ضربات القلب،

ومع كل قرار يصدره الإنسان تعمل مئات الخلايا في المخ، ونتيجة لكل هذه الأعمال تتجمع مواد كيميائية لا بد للإنسان أن يعمل على التخلص منها.

وعندما يخلد الإنسان في الليل إلى النوم تقل ضربات القلب في العدد وتخف في القوة ويرتاح المخ وتسكن العضلات ويحدث ترميم في كل أجزاء الجسم.

الخلايا التي ماتت تبدأ خلايا حية سليمة في التهامها والقضاء عليها، ثم يبدأ الجسم في إحلال خلايا أخرى جديدة مكانها، وتكون فترة الليل بالنسبة للجسم

مثل شركات النظافة التي تعمل بالمنشأة بعد خروج الموظفين فتنظف المكان وتعيد ترتيبه ونظامه وتهيئته وإعداده لنشاط يوم جديد حافل بالعمل الشاق.

إن النوم ضروري وأمر حيوي لصحة البدن وسلامة العقل، ومن الممكن أن يصاب الإنسان بالخبل أو الجنون إذا أصيب بالأرق لفترة طويلة أو أجبرته الظروف على عدم النوم مثلما يحدث في حالات التعذيب البدني التي قد يلجأ إليها من يستخدمون هذه الوسائل غير الإنسانية.

لانهيار من يتعرضون لها فيبيحون بما

يعرفون وبما لا يعرفون وذلك لفقدان توازنهم وعدم السيطرة على تصرفاتهم لاضطراب عقولهم وتشتت أفكارهم لعدم حصولهم على القدر الكافي من النوم الذي حرموا منه لفترات طويلة.

هنا تتجلى رحمة اللَّه على عباده كما تقول الآية الشريفة: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٣]. سبحان اللَّه!!

* * *



القرآن الكريم لا يكذب - حاشا للّه - ولا يبالغ، فهل فعلًا نحن إذا حاولنا أن نعدِّد نعم اللّه لا نستطيع أن نحصيها، الجواب نعم.. أولًا: لأنه لفظ قرآني، وثانيًا: لأن ذلك واقع الحال إذا حاولت أن تعد نعم اللّه لا تستطيع أن تحصيها. ولكن هل الإنسان يعترف بكل هذه النعم؟ الإنسان خلق جهولًا وهلوعًا وينسى سريعًا؛ لذلك

سمي إنسان من النسيان - كيف لخالق كل هذه النعم أن يجعل الإنسان يعترف بفضل اللَّه عليه وبكل النعم التي أنعمها عليه؟

البصر نعمة.. السمع نعمة.. تذوق الطعام نعمة.. الزواج نعمة.. النظر إلى الورود الجميلة والحدائق الغناء نعمة.. حب الناس نعمة.. الاستمتاع بنسمة الصباح نعمة.. مشاهدة شروق الشمس وغروبها نعمة.. إلخ، وفقد هذه النعم من بعض الناس يجعلهم ويجعل من حولهم يعرفون فضل هذه النعمة.

هل تعرف أن أكل الخبز نعمة - هل تصدق هذا إذا قلت لأحد من الناس إن أكل العيش نعمة، سيقول لك: إن أكل

اللحمة أفضل، وشخص آخر سيقول: إن الفواكه أفضل.. إلخ، ولكني صادفت مريضة في عيادتي أصيبت بمرض جلدي يتميز بظهور فقاقيع مائية على سطح الجلد من أهم طرق علاجه أن لا يأكل الإنسان القمح وكل ما هو مصنوع من القمح، لا يستطيع أن يأكل المكرونة مثلًا والكيك.. إلخ، وأعطيتها الدواء وطلبت منها ألا تأكل القمح وجاءتني بعد شهر تقول: إنها حاولت ولكنها فشلت في عدم تناول القمح ومشتقاته - كيف لا تأكل العيش؟ كيف لا تستمتع بأكل السندوتش بالجبن أو اللانشون أو غيره؟ قلت لها: الأرز

ممكن أن يكون بديلًا، فقالت: العيش وليس له بديل. وأدركت أن أكل الخبز نعمة لا يعرف قيمتها إلا من فقدها - فسبحان من وهبنا كل هذه النعم وويل للإنسان الذي لا يعترف بفضل أو نعمة إلا إذا سلبت منه. وسبحان اللَّه!!

خلق الأمراض:

قد يخطر على بال البعض منا - إذا ما ألمت به ظروف معينة بينه وبين نفسه، أو بين آخرين - أن يتساءل:

- لماذا خلق اللَّه الأمراض؟

ومع تسليمنا أن المرض قدر كسائر

الأقدار التي يمتحن اللَّه بها عباده ليعلم الذي صدق بحسن توجهه إلى اللَّه، والرضا عن كل ما يجريه عليه من أحوال، وليعلم الكاذب الذي لا يتعدى إيمانه شقشقة اللسان، فإذا ما أصابته فتنة انقلب على وجهه.

إن ربنا تبارك وتعالى يصور ذلك في كتابه الحكيم: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ﴾ (من مال أو جاه أو ولد أو صحة) - ﴿ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾، ﴿ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ﴾ (من فقر وعقم ومرض) ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

والمرض قدر من أقدار اللَّه يعترض حياة الإنسان في أية مرحلة من حياته، إنه - كقدر - لا يفرق بين صالح وطالح، ولا بين مؤمن وملحد.

إن الأنبياء عليهم السلام كانوا أشد الناس ابتلاءً، وأكثرهم تحملًا وصبرًا، وها هو ذا سيدنا أيوب عليه السلام الذي اقترن اسمه بالصبر حتى صار علمًا عليه.. إن قصته مع المرض أشهر من أن تروى، كما ثبت أن النبي ﷺ توفي متأثرًا بالحمى التي كانت تعاوده منذ أن أكل من لحم الشاة المسمومة التي قدَّمتها له امرأة يهودية.

إن بعض ما نراه في واقع حياتنا اليومية

قد يصيب قلوبنا بالشجن وقلوبنا بالألم من رؤية طفل معوق أو فتاة واهنة أو سيدة في مقتبل العمر أو شاب في شموخ الشباب قد أصابتهم الأمراض وفتكت بهم العلل - بدنية أو نفسية - حتى حولتهم - وهم في ميعة الصبا - إلى حطام..

إننا لو تأملنا جيدًا هذه الصورة البائسة لعلمنا أن هذه الأمراض هي التي تلفت أنظار الناس إلى نعم اللّه التي يغدقها عليهم، وقد لا ينتبهون إليها إلا إذا سلبت منهم أو ابتلي بها غيرهم.

إن هذه العلل ربما تكون رحمة في صورة

ابتلاء ليؤوب من أسرف على نفسه، أو نكص على عقبيه ليرجع إلى مولاه، مصداقًا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وبقوله سبحانه: ﴿ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

كما أن بعض هذه الأمراض تكون تقويمًا لنفس جنحت أو تكبرت أو أفئدة تحجرت، وقد تكون ابتلاءً من جنس العمل وردعًا لكل من أساء وأفرط ليكون عبرة ومثلًا لكل من يسيء ويفرط. وإذا

كان الألم جنديًّا من جنود الشفاء، فإن بعض الأمراض قد تكون بمثابة الإنذار المبكر الذي ينبه الإنسان، أو الطبيب إلى مخاطر قد تصيب الإنسان من جراء هذا الإنذار، وأنه إذا ما فطن إليها في الوقت المناسب، أمكنه تفادي أمراض ومضاعفات قد تأخذ وقتًا وجهدًا في التغلب عليها والحد من آثارها.

فمثلًا.. إذا أجهدت نفسك كثيرًا نشطت الجراثيم فيصاب الحلق أو اللوزتان مثلًا بالالتهابات وبارتفاع في درجة حرارة الجسم، هذه الأعراض تجبر الإنسان على أن يخلد إلى الراحة، هذه الراحة قد تنقذه

من أمراض أكثر ضراوة وأشد حدة، وبذلك يكون مرض الحلق قد حماه من أمراض أشد فتكًا.

فلربما لو لم يلتهب الحلق ولو لم يخلد إلى الراحة لأدى ذلك على سبيل المثال إلى الإصابة بذبحة صدرية مثلًا، وبذلك يكون التهاب الحلق - كما قلنا - بمثابة (الفيوز) الذي يضرب إذا ما حدث تحميل زائد في الكهرباء حتى لا تتلف الماكينة.

والمشاهد المعاش أن هناك أمراضًا قد تصيب فئة من الناس جزاءً وفاقًا، وللعبرة أسوق بعض الأمثلة الدالة على قصاص اللَّه العادل

- سبحانه - ممن تجاوز الحد، وأسرف في العنت وتمادى في الطغيان.

هذا مثال لرجل شرطة دأب على ضرب كل من لا يعجبه بالشلوت.. لقد أصابه اللَّه بمرض لا هو بالعضال فيموت ويستريح، ولا هو بالبسيط حتى يشفى.

وهذا المرض عبارة عن ورم في آخر العمود الفقري لا هو بسرطان حتى يقتل ولا هو بورم حميد فيستأصله ويستريح، ولكنه ورم كلما أزاله نما من جديد فيضغط على الأعصاب من حوله مؤديًا إلى آلام مبرحة ويضغط على مراكز التبول والتبرز

فلا يستطيع التحكم فيهما.

والمثال الثاني هو لرجل إقطاعي طغى وتجبر على خادمة عنده سرقت بعضًا من ممتلكاته الثمينة، فما كان منه إلا أن خلع عنها ملابسها وأخرجها عارية من منزله يزفها الأطفال في طرقات القرية.. وجاء العقاب من اللّٰه تعالى من جنس ما فعل.. لقد عاقب اللّٰه هذا الإقطاعي المتجبر على فعلته النكراء بأن أصابه بمرض جلدي على شكل فقاعات انتشرت في سائر جسمه حتى أصبح لا يقوى على ملامسة الثوب لجسده، مما أجبره على أن يعيش ما بقي من

عمره عاريًا في سريره كاشفًا عن سوءته!.. هذا المرض هو مرض ذو الفقاعة.

هذا الإقطاعي الأثيم أدرك بعد فوات الأوان أن اللَّه يمهل ولا يهمل، وأن قصاصه العادل أقرب إليه من حبل الوريد.. فحاول أن يستسمح الفتاة وأهلها دفعًا للبلاء.. لكن رغم غفران الفتاة وأهلها له.. فإن اللَّه سبحانه لم يشأ أن يريحه فظل على وضعه هذا حتى أدركه الموت وهو على هذا الوضع المهين.

وليس معنى ذلك أن كل من أصابه هذا الورم أو هذا المرض (ذو الفقاعة) قد أتى

بما يغضب اللَّه، فهناك مرضى أعرفهم أصابتهم عدة أمراض وهم من أحسن الناس خلقًا وأدبًا فالمرض في أمثالهم ابتلاء وليس عقابًا.

- والسؤال الآن هو: هل عرفت لماذا خلق اللَّه الأمراض؟

- الإجابة هي: إنه - سبحانه - لم يخلقها بالقطع لمجرد أن يتعيش منها الأطباء!!

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

* * *





الاسم: أ. د. محمد عبد المنعم عبد العال؛ مواليد المحلة الكبرى (١٩٣٩م).

الوظيفة: أستاذ الأمراض الجلدية والتناسلية، كلية الطب، جامعة الأزهر.

المؤهلات:

١ - بكالوريوس الطب والجراحة، القصر العيني (١٩٦١م).

٢ - دبلوم الأمراض الجلدية والتناسلية،

القصر العيني (١٩٦٥م).

٣ - دبلوم الأمراض الباطنية ، القصر العيني (١٩٦٦م).

٤ - دكتوراه الأمراض الجلدية والتناسلية، القصر العيني (١٩٦٨م).

الجوائز :

١ - جائزة الدولة في العلوم الطبية.

٢ - نوط الامتياز من الدرجة الأولى.

٣ - جائزة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

العمل العام:

١ - رئيس الجمعية المصرية للأمراض الجلدية (فترتين).

٢ - أمين الجمعية المصرية للأمراض الجلدية (فترة).

٣ - عضو مجلس إدارة الجمعية المصرية لأمراض الجلدية (عدة مرات).

٤ - عضو مجلس إدارة نقابة أطباء القاهرة.

شهادات دولية:

حاصل على زمالة الكلية الملكية البريطانية FRCP.

* * *

رقم الإيداع

٢٣١٥٥ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولي I . S . B . N

977 - 342 - 680 - 7

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « سبحان الله » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًا إلى الأمام .

*** فهيًا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملًا : .... **الوظيفة** : ....

المؤهل الدراسي : .... **السن** : .... **الدولة** : ....

المدينة : .... **حي** : .... **شارع** : ...... **ص.ب**:........

تليفون: .... / .... e-mail :

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

□ أثناء زيارة المكتبة □ ترشيح من صديق □ مقرر □ إعلان □ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : ....المدينة............

العنوان

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

□ عادي □ جيد □ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

الكون من حولنا مليء بالأشياء العجيبة والحوادث المثيرة؛ بل إن الإنسان نفسه بأجهزته الداخلية كائن عجيب يستحق التفكر والتدبر. والإنسان يستطيع أن يستفيد من تلك الحياة العجيبة ماديًا ومعنويًا لتقويم معيشته. وصدق الله القائل: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ (لقمان، ١١)؛ فلا تملك نفسك أيها الإنسان أمام هذه الحياة العجيبة إلا أن تقول بتلقائية تامة: "سبحان الله!". وهذا هو موضوع هذا الكتاب.



الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)

www.dar-alsalam.com info@dar-alsalam.com



ISBN: 977-342-680-7

9 789773 426804